الإهداء

إلى روح أبي الغالي رحمه الله "**حمزة**" الذي زرع في نفسي الطموح و المثابرة و الإجتهاد فهو ينبوع العطاء و لك كل الرحمة و المغفرة و التجلي و الإحترام "والدي الحبيب".

إلى والدتي الغالية التي لم تكل جهدا في تربيتي و توجيهي .

إلى أحب الناس إلى قلبي زوجي وأولادي إخوتي الأعزاء حفظهم الله

وإلى أم زوجي و أخت زوجي التي لم تبخل عني بأي مساعدة

ومن ساهم في كتابة هذه المذكرة "**ميلي سفيان**"

وإلى صديقة دربي "**ميمون نورة**" و إلى كل من ساندني و وقف بجانبي

أقدم هذا العمل المتواضع راجيا من المولى عزوجل القبول و النجاح.

فاطمة

الإهداء

أحمد الله عزوجل على منه و عونه لإتمام هذا البحث .

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله ، إلى من كان يدفعني قدما إلى الأمام لنيل المبتغى ، إلى الأنسان الذي إمتلك الإنسانية بكل قوة ، إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم ،إلى مدرستي في الحياة أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء و الحنان التي صبرت على كل شيئ ،التي راعتني حق رعاية وكانت سندي في الشدائد ،إلى من إرتحت كلما ذكرت إبتسامتها في وجه نبع الحنان

أمي أعز ملاك على القلب و العين

إلى رفيق دربي و سندي ودافعي للنجاح زوجي الغالي وأولادي الأعزاء

كما أهدي هذا العمل المتواضع إلى إخوتي وأخواتي "و فقهم الله في مشوارهم الدراسي"

إلى صديقتي و رفيقة دربي فاطمة بن جعفر وزميلاتي في الدراسة و إلى الذي ساهم في مساعدتنا في كتابتها " سفيان ميلي ".

إلى كل من يؤمن بأن بذور نجاح التغيير هي في ذواتنا و في أنفسنا قبل أن تكون في أشياء أخرى...

نورة

مقدمة :

لقد شكل الزمن محورا هاما في مختلف المجالات المعرفية، فاستقطب اهتمام الفلاسفة والبلاغيين و النحويين و الأدباء و النقاد، و بهذا أخذ دلالات خاصة، فتناوله كل مجال بأدواته الإجرائية التي يتبناها في حقله المعرفي و النظري، ولا يعني هذا أن كل مجال مستقل عن الآخر، بل قد يحدث أن يستعير مجال معين فرضيات أو نتائج من مجال آخر فيوظفها، لكنه يضفي عليها خصوصية تتماشى و نظامه الفكري .

و اكتسى الزمن أهميته القصوى في مجال الأدب و النقد، إذ أصبح بعدا أساسيا و مميزا في الخطابات الأدبية، و اعتبر أساس العملية السردية .

و "الزيني بركات" إحدى الروايات التي تعاملت مع الزمن تعاملا نوعيا، فالغيطاني حاول فيها التخلص من أشكال الخطاب الروائي التقليدي الذي يحاكي الأشكال الغربية، و بذلك كانت روايته -هذه- محاولة لتصوير الحاضر بكل ما فيه من توترات، فهو يهاجر فيها إلى الماضي ليكتب بلغة حقيقة الحاضر، من أجل معالجة ظاهرة القمع و إدانة القهر الذي تفشى عبر الأزمنة، و بهذا استطاع التوحيد بينها رغم تناقضها، و برهن أن الحاضر قائم في الماضي، وأن الماضي مشدود إلى الحاضر، و كأنه يجعل من الحاضر مقياسا لكل الأزمنة. كما أن روايته-هذه - تجربة جديدة سواء في الشكل أو المضمون، رغم أنه استلهم فيها التاريخ، إذ اعتمد أسلوب المؤرخين العرب خاصة" ابن اياس" و "المقريزي"، و تعامل مع هذا الموروث باعتباره العنصر الحي المستمر في حياتنا، و هكذا تبلور لديه مفهوم خاص للتراث و الزمن .

نبع الاهتمام بهذه الرواية، و تبلور كموضوع للدراسة بعد مناقشة الفكرة مع الأستاذ المشرف، و بعد القراءات المتعددة لها، إذ تبين لنا أنها كتبت بطريقة شيقة و ممتعة، و أنها ذات خصوصية على مستوى الزمن، حيث تصرف الغيطاني بمهارة في عناصرها الروائية، ولهذا ارتأينا الوقوف عند أبرز مظاهر بنيتها الشكلية ألا و هو الزمن، مع أننا فكرنا في بداية تحليلها اعتمادا على آليات المنهج البنيوي بصفة عامة، لكن نظرا لضيق الوقت، و للأهمية التي يكتسبها الزمن في "الزيني بركات" اقتصرت الدراسة على تحليله، و حاولت توضيح الكيفية التي يشتغل وفقها في هذه الرواية، و اعتمدنا في ذلك اعتمادا يكاد يكون كليا- على

آراء "جيرار جنيت "Gérard Genette" "النظرية في هذا المجال .

و قد اعترضتنا صعوبات كثيرة أثناء إنجاز هذه الدراسة، من بينها نقص المراجع في مكتباتنا، خاصة المراجع الأجنبية المنظرة للمنهج البنيوي، و لو لا مساعدة بعض الأساتذة الكرام ما تحصلنا عليها، إضافة إلى صعوبة الترجمة و المشاكل التي تطرحها في التعامل مع المصطلحات، كما أن الظروف الاجتماعية و العائلية وقفت عائقا أمامنا خاصة في البداية والنهاية وهذا ما جعلنا ننقطع عنها أحيانا لفترات طويلة.

أما الخطة التي اعتمدناها، فهي تقوم على تقسيم الدراسة إلى فصلين، وقد سبقت بتمهيد، حاولنا فيه توضيح بعض المصطلحات، خاصة مصطلح الخطاب، ومصطلح الزمن، واستعمالاته المتعددة في مجال الأدب و النقد، و عرض الآليات التي تتحكم في تحليل بنية الزمن .

يعني الفصل الأول زمن القصة و الخطاب في رواية "الزيني بركات" من حيث السوابق و اللواحق، وقد تراوح بين النظري و التطبيقي و قد تضمن عرضا مختصرا لأهم المفاهيم التي أسسها "جنيت"، و التي طبقتها على الرواية من أجل تبيان المفارقات الزمنية التي احتوتها .

في حين يحاول الفصل الثاني دراسة المسار الزمني في رواية "زيني بركات" .

و ذيلت الدراسة بخاتمة، تعرضت فيها لأهم النتائج المستنبطة من خلال التحليل .

ولا يسعنا -بعد هذا- إلا أن نطمح في أن تكون هذه الدراسة - التي لا تخلو من النقائص- مساهمة متواضعة يجد فيها المسرود له بعض الفائدة .

إذا كان الشكر من باب إرجاع الفضل إلى أصحابه، فإننا نشكر الأستاذ الكريم "بحوص زكري" على ما قدمه لنا من مساعدة و تشجيع، حيث لم يبخل علينا بتوجيهات قيمة و نصائح سديدة أعانتنا كثيرا في إنجازها.و كل من كانت له يد المساعدة فيها من بعيد أو قريب .

و أسأل الله التوفيق

تمهيد

كانت دراسة النصوص السردية بمختلف أنواعها منذ القدم، و مازالت إلى يومنا هذا محل اهتمام الباحثين، فقد اهتم بعضهم بالأديب المنتج للعمل الأدبي، و الظروف المحيطة بهذا الإنتاج، و اهتم البعض الآخر بالمتلقي، في حين اعتنى آخرون بالعمل الأدبي في حد ذاته، بعيدا عن منتجه، و عن العوامل المؤثرة فيه، و سمي هذا الاتجاه بالاتجاه البنيوي (Le Structuralisme).

يحاول هذا الاتجاه دراسة الخصائص السردية للخطاب الأدبي، وهذا ما ذهب إليه تودوروف (TODOROV)حين قال: "ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي، الذي هو الخطاب الأدبي ...و لكل ذلك فإن هذا العلم لا يعني بالأدب الحقيقي، بل بالأدب الممكن، و بعبارة أخرى يعني بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي، أي الأدبية [1]، و كانت البويطقا الكلاسيكية قبل ذلك - مع أرسطو و أفلاطون، تختزل مجال الأدب التمثيلي بجعله مقتصرا على المحاكاة.[2]

و كان المنهج البنيوي قبل أن يتبلور كمنهج قائم بذاته- عبارة عن جهود متفرقة ، لم ترق إلى مستوى تكون فيه نظرية أو منهجا واضح المعالم، و بين الأسس .

و يعتبر سوسير (SAUSSURE) أول من سعى إلى معرفة النص معرفة حقيقية، رغم أنه لم يستعمل في كتابه "محاضرات في علم اللغة العام Cours de linguistique générale)"كلمة "بنية " (Structure)، إنما استعمل كلمة "تسق أو نظام(Systeme) "، عند تعريفه للغة يقول هي: النظام من الأدلة"[3]، و يقول بنفيست (Benveniste) مؤكدا هذا ..." :و يجمل بنا أن نشير إلى أن سوسير لم يستعمل أبدا، و بأي معنى من المعاني كلمة "بنية"، إذ المفهوم الجوهري في نظره هو مفهوم "النسق[4] .

تلت خطوة "سوسير- "هذه -جهود الشكلانيين الروس(Les formalistes Russes) ، الذين حاولوا تثبيت فكرة وجوب دراسة النص الأدبي في ذاته و لذاته، و حاول النقد الأنكلوسكسوني، و المدرسة المورفولوجية الألمانية، و الدراسات البنيوية في فرنسا بعد ذلك تطوير هذا المنحني من البحث، و شهدت الأبحاث البنيوية في فرنسا تطورا ملحوظا، خاصة بعد ظهور" رولان بارت(Roland Barthes) "،

---

[1] تزفيطان تودوروف، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت، رجاء بن سلامة، ط1 .، دار توبقال،1987، ص.23.

[2] ينظر، سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبئير)، ط 3، المركز الثقافي العربي،1997 ، ص .31 .

[3] Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique Général, Essai, Ouvrage présenté par DaliłaMorsley, ENAG/Edition, P.33.

[4] عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الأخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة (البنوية، الس يميائية، التفكيك)، ط. 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، حريزان 1990، ص .40 .

"ألجيرداس جوليان غريماس(Algirdas julien greimas) "،" جيرار جنيت"، التزفيطان تودوروف" ، و غيرهم من الذين ساهموا -بقوة -في ترسيخ البنيوية، و بيان أسسها و مبادئها و مستويات تحليل الخطاب الأدبي، و محاولة إزالة الغموض الذي يكتنف الكثير من المفاهيم و المصطلحات .

و كان تودوروف[1]" من الذين دعوا إلى التخلي عن استعمال بعض المصطلحات مثل" العمل الأدبي"،"الأدب "و استعمال مصطلح " الخطاب (Discours) "بدلا عنهما[2].

و بذكر هذا المصطلح لابد من الإشارة إلى أنه لا يوجد اتفاق حول مفهومه، ففي حين يوظف فريق من النقاد مصطلح "النص(Texte) "، يوظف فريق آخر مصطلح "الملفوظ(Enonce) "، و يستعمل فريق ثالث مصطلح "الوحدة(Unite) "، الذي يكثر استعماله في الدراسات الأدبية الحديثة، إذ غالبا ما يقسم الخطاب الأدبي إلى وحدات، و تأخذ هذه المصطلحات - أحيانا- معنى واحد، بينما يأخذ كل منها أحيانا أخرى دلالة أو دلالات مختلفة.[3]

ظهر مصطلح الخطاب في الغرب خاصة بعد ظهور كتاب سوسير، الذي تضمن بعض المبادئ الأساسية، أهمها: تفريقه بين الدال و المدلول[4]، و اللغة كظاهرة اجتماعية، و الكلام كظاهرة فردية[5]، و بلورته لمفهوم "التسق "أو "النظام"[6]، الذي تطور فيما بعد إلى "بنية ".

و يعتبر "زيليغ هاريس (Zellig Harris) "أول لساني حاول توسيع موضوع البحث اللساني، وذلك بجعله يتجاوز الجملة إلى الخطاب، ويعرف الخطاب بأنه ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكون منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، و بهذا يبقى مجال الدراسة لسانيا محضا، و يسعى "هاريس" بمقتضى هذا المفهوم- إلى تطبيق المنهج التوزيعي على الخطاب، و الذي من خلاله تصبح كل العناصر أو متتاليات العناصر لا تلتقي بعضها ببعض بشكل اعتباطي، إذ أن التوزيعات التي تلتقي من خلالها هذه العناصر تعبر عن انتظام معين يكشف عن بنية النص بواسطة ما يسميه "بالتوازي " [7](Equivalence).

و يرى "بنفنيست" أن الخطاب هو الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات و عمليات اشتغاله في التواصل، و يعني بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما (و يقصد بالملفوظ الموضوع اللغوي المنجز

---

[1] ينظر، نوال لخلف، تقنيات السرد الروائي عند حنا مينا"، رسالة ماجستير، الجزائر،1998/1997 ، ص .03.
[2] ينظر، سعيد يقطين، ص.14
[3] نفسه، ص. ص16 .، 17.
[4] Ferdinand de Saussure, P. 109.
[5] نفسه، ص .30 .
[6] نفسه ص 33
[7] ينظر، سعيد يقطين، ص. ص17 .، 18.

المستقل عن الذات المنجزة له بواسطة متكلم معين، و هذا الفعل هو عملية التلفظ(Enonciation) ، و التي يقصد بها الفعل الحيوي الذاتي في استعمال اللغة، بمعنى آخر الخطاب هو كل تلفظ يفترض وجود متكلم و مستمع، و يكون غرض الأول التأثير في الثاني بصورة من الصور[1] .

أما "دومينيك مانكينيو (Dominique Mangueneau) "فوضع ستة تعريفات للخطاب:

1- الخطاب مرادف لمفهوم الكلام عند سوسير، و الذي يعني التطبيق الفعلي لقواعد اللغة.

2- هو الوحدة اللسانية التي تتعدى الجملة و تصبح مرسلة كلية أو ملفوظا.

3- تعريف هاريس السابق للخطاب .

4- هناك تعارض بين الملفوظ و الخطاب، فالملفوظ هو متتالية من الجمل بين بياضين دلاليين، أما الخطاب فهو الملفوظ المعتبر من وجهة نظر حركية خطابية مشروط بها، و هكذا فنظرة تلقى على البنية اللغوية لنص معين تجعل منه ملفوظا، و الدراسة اللسانية لشروط إنتاج هذا النص تجعل منه خطابا .

5- تعريف بنفنيست السابق للخطاب.

6- هناك تعارض بين اللسان و الخطاب، فاللسان ينظر إليه ككل منته و ثابت العناصر نسبيا، أما الخطاب فهو مفهوم باعتبار الطابع السياقي(Contextualisation) غير المتوقع الذي يحدد قيما جديدة لوحدات اللسان[2] .

و يرى" جنيت" أن الخطاب هو مجموع العناصر اللغوية التي يستعملها السارد موردا أحداث قصته في صلبها.[3]

إن تعدد الآراء حول مفهوم الخطاب لا يعني أنها متعارضة فيما بينها، إنه يؤكد بشكل ما أن الخطاب ممارسة الملكة اللغة، و يكمن الاختلاف في زاوية النظر إلى هذه الممارسة، و بمعنى آخر إن الاختلاف يمس شكل المضمون الذي تؤديه هذه اللفظة، ولا يمس مضمونها، وانطلاقا من هذا نتبين أهمية اللغة في إنشاء الخطاب مهما كان نوعه .

تهتم البنيوية بدراسة الخطاب الأدبي الذي يتخذ أشكالا عديدة، فقد يكون قصة أو رواية أو خرافة أو شعرا... ، و تسمى هذه الأشكال: الأجناس الأدبية، و سوف ينصب الاهتمام في هذه الدراسة حول الرواية . تعددت تعاريف و مفاهيم الرواية كما هو الحال بالنسبة للأجناس الأدبية الأخرى وسوف نكتفي بإيراد تعريف الناقد الفرنسي "شيفاللي) "لها، وهذا التعريف تبناه الكاتب الروائي و الناقد الإنجليزي "فورستر "

---

[1] ينظر، تزفيطان تودوروف، رولان بارت، أمبرتو إيكو، مارك أنجينو، في أصول الخطاب النقدي، ترجمة و تقديم أحمد المديني، ط. 2، عيون المقالات المغربا، 1989، ص .38 .

[2] Dominique Maingueneau, L'analyse du discours, Introduction aux lectures de L'archive, Hachette, Université Linguistique, Paris, 1991, P. 15.

[3] ينظر، سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر د. ت، ص .78 .

حيث يقول أنها سرد نثري تخييلي ذو طول معين .[1]

نتبين من هذا التعريف أن الرواية تعتمد على وجود القصة (المادة الخام)، و على وجود شخص يقدمها (السارد)، و يعتمد من أجل ذلك على عنصر الخيال.[2]

وكثيرا ما يقع الخلط بين مصطلح الرواية و مصطلحي القصة و الحكاية، و قد يظن الكثير منا أن هذه المصطلحات عبارة عن مترادفات، إلا أن الحقيقة غير ذلك، إذ لكل مصطلح معناه الخاص به، و لكل منها خصائص فنية تميزه عن غيره، و غالبا ما يقع التمييز بين مصطلح القصة و الرواية في إطار نظرية الأنواع الأدبية، انطلاقا من شروط فنية خاصة بكل منها .

أما فيما يخص مصطلحي الحكاية و القصة، فإن الثاني يعتبر الأكثر تداولا في الدراسات النقدية الحديثة، إذ أن مصطلح الحكاية لا يذكر إلا عرضا، و إن ذكر فإنه يرتبط بالقصص الشعبي إلا نادر، و يعني مصطلح الحكاية جملة الأحداث التي تدور في إطار زمني و مكاني معينين، و تتعلق هذه الأحداث بشخصيات معينة[3] .

ويعني مصطلح القصة الأحداث في ترابطها و تسلسلها، و في علاقاتها بالشخصيات في فعلها و تفاعلها، و قد تقدم القصة مكتوبة أو شفوية بهذا الشكل أو ذاك، و يتولى الخطاب تقديم هذه الأحداث وفق نظام خاص.[4]

والملاحظ أنه هناك اختلاف في استعمال المصطلحين الفرنسيين (Recit) و (Histoire) ، "غريماس" و" جوزيف كورتيس (Joseph Courtes) "يعترفان صراحة بأن مصطلح (Histoire) غامض ذو دلالات مختلفة، إحداها أعتبارهما هذا المصطلح مرادفال (Recit) -كخطاب سردي ذي طابع وصفي تصويري .

و تعرف "مايك بال (Meicke Bal) "مصطلح (Histoire) بأنه مجموعة أحداث تربط بينها علاقة منطقية، يتسبب فيها و/أو يتحملها ممثلون، أما مصطلح (Recit) فيعني عندها مدلول الخطاب السردي .
و يفرق اتودوروف" بين هذين المصطلحين، و يرى أن الحكاية (Histoire) جزء من القصة (Recit) .
أما "جنيت" فيميز بين ثلاثة مفاهيم للقصة :(Recit) [5]

-المفهوم الأول:و هو الأكثر تداولا و استعمالا، يرى أن القصة تعني الخطاب السردي الشفوي أو الكتابي الذي يروي حدثا أو مجموعة من الأحداث .

---

[1] ينظر، خليل رزق، تحولات الحبكة، مقدمة لدراسة الرواية العربية، ط1، مؤسسة الأشرف، بيروت، لبنان، يناير1998 ، ص.08 .
[2] المرجع نفسه، ص. 09.
[3] ينظر، سمير المرزوقي ، جميل شاكر، ص.77 .
[4] ينظر، الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب، تونس،2000 ، من ص 24 إلى ص 26 .
[5] ينظر، إبراهيم صحراوي، ص .29 .

-المفهوم الثاني : و هو الأقل تداولا، و لكنه الأكثر استعمالا و شيوعا بالنسبة لمنظري و محللي المضمون السردي، و يرى أن القصة تعني تتابع الأحداث سواء أكانت حقيقية أم خيالية، و هذا هو موضوع الخطاب، و كذا مختلف العلاقات المتسلسلة و المتضادة و المتكررة القائمة بين هذه الأحداث .

-المفهوم الثالث و هو الأكثر قدما، يذهب إلى أن القصة حدث يتطلب ساردا، ففعل السرد مأخوذ لذاته، و الدراسة تنصب - إذ ذاك- حول الخطاب السردي[1].

و من هنا، فإن الخطاب مرتبط بالقصة، و لا يتحقق وجوده إلا من خلال وجود السارد الذي يقوم بتقديم أحداثها، و يقابله المسرود له الذي يتلقى هذه الأحداث، والمهم في العلاقة الكائنة بين السارد و المسرود له هو الخطاب ! القصة، أي الطريقة التي يجعلنا السارد

نتعرف بواسطتها على تلك الأحداث، و بهذا فإن القصة كما يرى" فيكتور شكلوفسكي victor" sheklovskey لا تعتبر فنا في ذاتها، لأنها سابقة للخطاب الذي جاءت فيه، في حين يعتبر أن الخطاب هو الفن الحق، فهو الذي ينقل أحداث القصة وفق ترتيب مخصوص، و من هنا، فإن الأدبية تتجلى في الخطابة.

ولا يمكن استخلاص هذه الأدبية إلا عن طريق التحليل الذي يتم من خلال مستويات متعددة، و تختلف هذه المستويات من باحث إلى آخر، ف "بارت" يرى أنه يمكن تحليل الخطاب الأدبي انطلاقا من ثلاثة مستويات: الوظائف، الأحداث و السرد، و هذه المستويات مرتبطة بعضها ببعض، إذ أن الوحدة الوظيفية لا معنى لها إلا من خلال المكان الذي تحتله ضمن الحدث العام الذي تقوم به شخصية معينة، و هذا الحدث لا معنى له ما لم يرو[2] .

و يؤكد" جنيت" أن الخطاب لا يتحدد إلا من خلال علاقته بالسرد و القصة، كما أنهما لا يمكن أن يوجدا إلا في علاقتهما مع هذا الخطاب، و من هنا فإن تحليل الخطاب يهتم بدراسة العلاقة الموجودة بين الخطاب و القصة من جهة، و الخطاب و السرد من جهة ثانية، و القصة والسرد من جهة ثالثة)، و يقصد بالخطاب الدال أو الملفوظ أو الخطاب السردي نفسه، و يعني بالقصة المدلول أو المضمون السردي، بينما يقصد بالسرد الفعل السردي المنتج له، و توصل - انطلاقا من هذا إلى طرح ثلاث قضايا و هي: الزمن، الصيغة و الصوت.

و يقترح "تودوروف" تحليل الخطاب من خلال ثلاثة جوانب تعتبر مركزية و هي :

-الجانب الدلالي : و فيه يطرح سؤالين: ما هي الكيفية التي يدل بها خطاب معين؟ و على ماذا يدل؟[3].

الجانب اللفظي: و يتضمن مقولة الزمن، الصيغة، الرؤى و الأصوات.[4]

---

[1] ينظر، سعيد يقطين، ص .30 .

[2] المرجع سعيد يقطين، ص.30 .

[3] ينظر، تزفيطان تودوروف، الشعرية، ص.33 .

[4] المرجع نفسه، ص .45 .

- الجانب التركيبي:و يتضمن بني الخطاب، النظام المنطقي و الزمنية النظام المكانية التركيبة السردية، تخصيصات وردود أفعال.

و بالرغم من أن تودوروف تحدث عن هذه الجوانب الثلاثة في تحليل الخطايا، إلا أنه أهتم و كذلك "جيرار جنيت بالجانب اللفظي نظرا لتصوراتهما البنيوية .[1]

لابد من الإشارة بعد هذا إلى أن هذه الدراسة لن تكون تطبيقا للمنهج البنيوي ككل على رواية "الزيني بركات"، إنما ستقتصر على بنية الزمن لما له فيها من خصوصية والاقتصار على هذا العنصر لا يعني بأي حال من الأحوال- أنه هو الأهم في التحليل البنيوي، إنما لكل عنصر قيمته و دوره، و يسهم إلى جانب العناصر الأخرى في تشكيل هذا المنهج.

شغل الزمن حيزا مهما في كتابات المؤلفين منذ القدم، و قد تجلى - على الخصوص في المحاولات الفلسفية الأولى للفكر اليوناني فيما يعرف بالاتجاه الطبيعي، ثم انتقل ذلك كله على نحو أكثر دقة و وضوحا إلى "أفلاطون" الذي فلسفه على نحو يتماشي و ثنائية المعروفة المادية و المثالية، ويعتبر الزمن صورة متحركة بالأزل (الثابت)، إذ بدأ عندما خلق الله العالم، و وضع له نظاما عجيبا، فتعاقب الليل و النهار، و دوران الشهور و السنين ... كون العدد، وقدم لنا مبدأ الزمن، و بالتالي صارت دراسة العالم ممكنة، فالزمن -إن- ليس إلا جزء من الأزل)، ثم صبغ موضوع الزمن بعد أفلاطون"- بالصبغة العلمية الفلسفية، فمنهج على يد أرسطو الذي يرى أنه مقدار الحركة أو عددها[2] ، و من هنا نلاحظ ارتباط الزمن بالحركة و التغيير.

أما كانط" فيحدد فكرة الزمن تحديدا ذاتيا، و يقول بأن الزمن لا واقع له خارج الذات، و لا يمكن استنباطه من الأنا، ولكن على العكس يمكن استنباط الأنا من الزمن .

و من الفلاسفة المسلمين الذين علموا مسألة الزمن، لإبن رشد"، و يرتبط الزمن عنده بالطبيعيات كالحركة ،التغيير، و المكان من جهة و يرتبط من جهة أخرى ميتافيزيقيا- بالكون و نشأته .[3]

ينظر الكندي إلى الزمن على أنه عدد الحركة، أي المدة التي تعدها الحركة، فإن كانت حركة كان زمن، و إن لم تكن حركة لم يكن زمن، وقد أستقي هذه الفكرة من "أرسطو" كما أستقي فكرة أن الزمن منتقاه من أفلاطون[4].

---

[1] المرجع السابق، فصل 65

[2] ينظر، عبد الرزاق قسوم: مفهوم الزمان في قسنة أبي الوليد بن رشد، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط، له الجزائر :(د.ت)، ص، 24

[3] المرجع نفس ص 17

[4] المرجع نفسه ص 67

و تضمن القرآن الكريم آيات وردت فيها إشارة إلى الزمن، منها قوله تعالى: و هو الذي خلق السماوات و الأرض في ستة أيام و كان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا)[1] وقوله : و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فض لا من ربكم ولتعلموا عند السنين و الحساب و كل شيء فصلناه تفصيلا) [2]، و كذلك في أوله تعرج الملائكة و الروح إليه في يوم كان مقداره خمسون ألف سنة ...)

و ورد في رسائل إخوان الصفاء أن الزمن عند جمهور الناس هو: مرور السنين والشهور و الساعات، وقد قيل أنه مدة يعدها حركة الفلك، وقد يظن كثير من الناس أن الزمان ليس بموجود أصلا إذا اعتبر بهذا الوجه، و ذلك أن أطول جزء الزمان السنون، و السنون منها ما قد مضى و منها ما لم يجيء بعد، و ليس الموجود منها إلا سنة واحدة، و هذه السنة أيضا شهور منها ما قد مضى و منها ما لم يجيء بعد، و ليس الموجود منها إلا شهرا واحدا، وهذا الشهر منه أيام قد مضت و أيام لم تجيء بعد، و ليس موجود منها إلا يوما واحدا، وهذا اليوم ساعات منها ما قد مضت، ومنها ما لم تجيء بعده و ليس الموجود منها إلا ساعة واحدة، وهذه الساعة أجزاء منها ما قد مضى و أخر ما جاء بعد، فبهذا الاعتبار ليس للزمان وجود أصلا.[3]

إن الزمن - اعتمادا على هذا الرأي- زمنان: ماض و مستقل، و لا وجود للزمن الحاضر، فالماضي لا يوجد في الحاضر، و المستقبل لم يحن بعد، لهذا لا يمكن الحديث عن شيء اسمه الزمن، لكن لم يهمل إخوان الصفاء الرأي المناقض لهذا الرأي، إذ اعتبر الزمن موجود أبدا، و ذلك أن الزمان كله يوم و ليلة و أربع و عشرون ساعة، و هي موجودة في أربع وعشرين بقعه من استدارة الأرض تكون حولها دائما [4]

وأهتم النحاة العرب هم بدورهم بقضية الزمن، فقالوا يتقسيمه إلى ثلاثة أزمنة الماضي، الحاضر والمستقبل، يقول سيبويه: و أما الفعل، فأملة أخذت من لفظ أحدث الأسماء، و بقيت لما مضى، و لما يكون و لم يقع، وما هو كائن لم ينقطع.

لقد اعتمد النحاة على هذا التقسيم، فلا يكاد يخلو كتاب من كتب النحو و فقه اللغة من إشارات إليه، و لكن النحاة العرب تجاوزوه، و تفطنوا إلى أن الحال أو الحاضر هو متبع الزمن، و أن الزمن يخضع للإعراب ، و من بينهم "إبراهيم السامرائي" الذي كانت له محاولات سعي بواسطتها إلى تجاوز الفهم التقليدي للزمن، و ذلك من خلال مناقشته تعريف ابن يعيش"، الذي يرى أن الفعل الماضي يدل على فترات حدثت بزمن قبل زمانك، و أنه لما كانت الأفعال مساوقة للزمان، و الزمان من مقومات الأفعال،

---

[1] سورة هود الآية 57
[2] سورة الإسراء آية 12
[3] رسائل إخوان الصفاء وخلان اوقاه، لواء إعداد و تحقيق عارف تامر، منشورات سد لفتة بيروته 1995م 415اشه ، 23
[4] المرجع نفسه صفحة نفسها

توجد عند وجوده، و تنعدم عند عدمه انقسمت بأقسام الزمان، و لما كان الزمان ثلاثة: ماض و حاضر و مستقبل، و ذلك بمعنى أن الأزمنة حركات الفلك، فمنها حركة مضت، و منها حركة لم تأت، و منها حركة تفصل بين الماضية و الأتية، كانت الأفعال كلك ماضي، مستقبل و حاضر.."

لاحظ السامرائي" زيف هذا الفهم، و قام باستقراء الأزمنة في التفاسير وكتب النحو فتوصل إلى أن بناء (فعل)، و بناء (يفعل) لا يدلان على الزمن بأقسامه و حدوده و دقائقه وأستنتج أن الفعل العربي لا يفصح عن الزمن بالصيغة، إنما يتحصل الزمن من بناء الجملة التي قد تشتمل على زيادات تعين الفعل على تقرير الزمن في حدود واضحة، كما استنتج من خلال استقرائه لمجموعة من الأستعمالات لهذه الصيغ أن (فعل) تستعمل أربعة عشرة شكلا زمنيا سواء استعملت مفردة أو بإحدى الأدوات (كان، قد، إذا ...)، و بذلك تصبح تدل على الماضي والحاضر أو المستقبل، و أن صيغة (فعل) تأخذ تسعة أشكال زمنية معدل إمالى الماضي أو الحاضر أو المستقبل بحسب الأدوات التي تدخل عليها: (لم، كان السين، س وف لن...)، و بهذا فإنه لا يمكن استخراج الزمن في الجملة العربية من الصيغة، إنما من السياق [1] .

وتشكل هذه المحاولات و غيرها أرضية صلبة انطلق منها الروائيون و النقاد الجدد في معالجتهم القضية الزمن، فحاولوا تطوير هذا المفهوم، و تطوير طرق تحليله في الخطابات السردية، لأنه كما يرى البعض أساس القص، إذ هو المدخل الرئيسي إلى الخطاب الروائي.[2]

تثبت أهم الدراسات أن الشكلانيين الروس هم الأوائل الذين أدرجوا عنصر الزمن في نظرية الأدب، وذلك انطلاقا من ارتكازهم على العلاقات التي تربط بين أجزاء الحدث، وهم عرض الأحداث في الخطاب الأدبي عندهم بطريقتين: إما أن يخضع السرد لمبدأ السببية، وبذلك تأتي الأحداث متابعة تتابعا منطقيا، و هذا ما سموه بالمتن، و إما أن تأتي هذه الأحداث خاضعة لهذا التتابع دون أي منطق داخلي، و دون الاهتمام بالاعتبارات الزمنية وهذا ما سموه بالمبنى.[3]

وقد تعرضي سوسير قبل ذلك - لقضية الزمن عند حديثه عن الدراسة الآنية التي تهتم باللغة في فترة معينة من مراحل تطورها، و الدراسة الزمنية التي تعنى بالتغيرات التي تطرأ عليها في مراحل تطورها، و أصر على أن حقيقة اللغة تكمن في ذاتها أكثر مما تكمن في تاريخها.

و اكتسبت مقولة الزمن أهميتها القصوى في مجال البحث اللساني الذي أعاد طرحها لكن من منظور جديد، و من اللسانيين الذين اهتموا بهذه القضية بنفنيست" الذي يرى أن للزمن مفهومين متبايتين: أولهما فيزيائي - خطي لا متناه، و يتمثل في المدة المتغيرة التي يقيسها كل إنسان حسب هواه، و ثانيهما حدثيه و يتمثل في زمن الأحداث الذي يغطي حياة الأشخاص كمتتالية من الأحداث، و مقابل هذين

---

[1] ينظر .سعيد يقطين ص 84.ص85

[2] ينظره عبد الوهاب الرقيق ص26

[3] ينظر حسن بحراوي ص 107

الزمنين، هناك ما يسميه بالزمن اللمسائي، و الذي لا يمكن اختزاله لا في الزمن الفيزيائي و لا في الزمن الحدثي، فهو وثيق الارتباط بالكلام، و هو لا يرى في الواقع - إلا زمنا واحدا ألا و هو الحاضر الذي يعتبره منيع الزمن، أما الماضي والمستقبل فيتحددان في علاقتهما بهذا الحاضر.

تتضح انطلاقا من هذا التحديد الأهمية القصوى التي يكتسبها الزمن الحاضر مقارنة بالماضي و المستقبل، و هذا ما يقره ألان روب غريبه" ALAIN ROBBE GRIL" ، إلا أنه ينفي أن يكون هناك تماثلا أو انعكاسا للزمن الواقعي في زمن الرواية الجديدة، لأن الزمن الوحيد فيها هو زمن الحاضر أو زمن الخطاب، أما ما فعله أو ما بعده فلا يعتر زمنا، وه و يجعل الزمن الروائي مرتبطة بزمن القراءة .

أما روست (PROUST) فيعتبر العالم أشبه بنهر لا يمكن أن تطأ قدم الإنسان في المكان نفسه مرتين، لأن تدفق المياه (الزمن) لا يتقطع، و من ثم فإن الزمن الحقيقي دائما- هو الزمن الماضي، و ليس الزمن الحاضر أبدا، و لهذا فالبوابة الوحيدة المفضية لدى البطل البروستي" هي الذاكرة، ذلك أن الإنسان يعيش وحيدا منغلقا داخل كهف النفس المعزولة، وانطلاقا من هذا يجب الاعتماد على الذاكرة حتى تكون المبدأ المكون للنفس . [1]

و تعرض "جان ريكاردو JENN RICARDOU للمسألة نفسها، لكن من زاوية أخرى، فهو يرى أن الخطاب الروائي يقوم أساسا على السرد الذي يجعل منه مجالا لمستون متبادين من الأزمنة هما: زمن القصة و زمن الخطاب[2]، و العلاقة بينهما هي التي تشكل طبيعة السرد، وتتيح التعرف على ما يسميه بسرعة السرد ويدرس فيها علاقات الديمومة بين المستونه وذلك بحسب طبيعة السردگو بخند ضمن هذه السرعة الخصائص التالية:

- مع الحوار يكون نوع من التوازن بين المستويين. - مع الأسلوب غير المباشر الذي يقلص العديد من الأحداث تسرع وتيرة السرد. - مع التطيل السيكولوجي و الوصف يتبأطأ السرد ".

يقترب مفهوم "ميشال بوتور (Michel Butor) من هذا المفهوم، فهو يميز في كتابه بحوث في الرواية الجديدة بين ثلاثة أزمنة: زمن الكتابة، زمن المغامرة، و زمن القراءة وقد أفترض أن مدة هذه الأزمنة تتقلص تدريجيا بين زمن و آخر، فالكاتب يقدم لنا مثلا خلاصه و حيزة لأحداث وقعت في سنتين، وهذا هو زمن المغامرة، ربما استغرق الكاتب في كتابتها ساعتين، وهذا هو زمن الكتابة، بينما قد يقرأ المسرود له هذا الخطاب في دقيقتين، وهذا هو زمن القراءة .

من هنا، حاول " بوتور " أن يبرز التبدلات الزمنية التي تعتري الخطاب الروائي، و التي تتجلى في المواد ات إلى الوراء، و النظرات التي تستشرف المستقبل، و هذا ما ينتج صعوبة في الحفاظ على النظام

[1] ينظر و نان سكوت، صويل، سكوت. ترجمة مجاهد عبد المنعم، معللة أعلام الفكر العالمي (المجموعة الأدوية المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت، ط1، 1974، ص 42

[2] ينظر، سعيد يقطين، ص. ص، 54، 55

الزمني المتمسلسل الذي يعتمد على الترتيب الخطي في نقل الأحداث، لأننا -كما يرى بوتور- لا يمكننا أن نعيش الزمن بصفته استمرار إلا في بعض الأحيان، و من حين الأخر تأتي القصة على شكل دفعات، لكننا بين هذه الأمواج من الدفعات نقفز قفزات كبيرة علي غير هدى هنا، لهذا يكتب بعض الكتاب قصصهم كتلا منفصلة و متقابلة بهدف جعلنا نشعر بتلك الانقطاعات .[1]

أما تودوروف" فيقسم زمن الخطاب الروائي إلى ثلاثة أضرب على الأقل وهي : زمن القصة و زمن الكتابة و زمن القراءة، و بري أن زمن القصة خاص بالعالم التخيلي أو العالم الروائي المنشا، وأن زمن الكتابة أو السرد مرتبط بعملية التفظ القائمة داخل الخطاب، أما زمن القراءة فيصاحب المسرود له خلال عملية القراءة، ويسمي هذه الأزمنة بالأزمنة الداخلية، و إلى جانبها، يقول بوجود أزمنة خارجية لها علاقة بالخطاب و هي : زمن الكاتب، زمن القاري، و الزمن التاريخيا و يقصد بالزمن الأول المحيط الثقافي الذي ينتمي إليه الكاتب، و يقصد بالثاني التفسيرات و التأويلات التي تعطي لأعمال الماضي، و يتجلى الثالث في علاقة الخطاب بالواقع الذي جرت فيه الأحداث التي تضمنها هذا الخطاب.[2]

لقد كان تعدد مظاهر الزمن في الخطاب الواحد مصدر الجدل بين النقاد، و هذا ما دفع بهم إلى أختصاره إلى شتائية محددة، و ظهرت هذه الثنائية بوضوح على يد " تودوروف ، و تتمثلي في زمن القصة و زمن الخطاب، و كان الشكلانيون الروس قبله- قد تحدثوا عن المتن أي نظام الأحداث) و عن الميني (أي نظام الخطاب)[3]

يرى تودوروف أن قضية الزمن في الخطاب السردي تطرح بسب وجود هذين الزمنين، و يقر بأن الاختلاف بين نظام الأحداث و نظام السرد بديهيا، ذلك أنه قد تقع عدة أحداث في الوقت نفسه، لكن الخطاب لا يمكنه سردها دفعة واحدة، إنما يسردها واحدا تلو الأخر)، معلى آخر، إن زمن القصة متعدد الأبعاد أما زمن الخطاب فأحادي، و لهذا قال بضرورة تخلي السارد عن التابع المنطقي الطبيعي للأحداث، و اعتماده بدلا من ذلك على الخلط الزمني) و بهذا يتصرف في ترتيبها تبعا لغايات فنية معينة يقضيها الخطاب الروائي، قصد تحقيق أهداف جمالية محددة.

و سعى تودوروف إلى إيجاد طريقة خاصة لمعالجة الزمن انطلاقا من تحديد العلاقة القائمة بين زمني القصة و الخطاب، و التي تدرس من خلال ثلاثة محاور:

---

[1] ينظر، هيام إسعال، لونية السرية في رواية أبي جهل الدهاس، لعمر بن سالم"، رسالة ماجستير، الجزائر 1930/1438، ص، 33

[2] Ibid, P 101,

[3] المرجع نفسه صفحة نفسها

1- محور النظام : يستحيل في هذا المحور التطابق بين زمن القصة و زمن الخطاب، لأن الأول متعدد و الثاني أحادي - كما سبق الذكر - و لا تتم عملية سرد الأحداث إلا بالرجوع إلى الوراء، أو بالقفز إلى الأمام لسرد ما سيقع مستقبلا.[1]

2- في محور المدة : قد تشع هذه المدة و قد تتقلص، و ذلك باستعمال تقنيات: الخلاص ة الحذف، الوقف، و المشهد [2].

3- محور التواتر : و يخص هذا المحور طريقة السرد، فيكون السرد إما مفردا أو مكررا أو مؤلفا.

و هذا ما ذهب إليه "جنيت"، اعتمادا على مقولة لكريستيان ميتز MITZ'، مفادها أن الحكي مقطوعة زمنية مرتين، فهناك من جهة زمن الشيء المحكي (أي زمن الدال)، وهناك من جهة اخرى- زمن الحكي (أي زمن المدلول) [3].

وضع جنيت " ثلاثة محددات يراها أساسية في كل بحث يهدف إلى دراسة نوعية العلاقة بين زمن القصة و زمن الحكي أو الحكي هنا مرادف الخطاب عند تودوروف:

1- العلاقات بين النظام الزمني التابع الأحداث في القصة، و النظام الزمني لترتيبها في الحكي.

2- العلاقات بين الديمومة النسبية للأحداث في الفصة، و ديمومة الحكي (أي طول الخطاب)، و ترتبط هذه العلاقات بمفهوم النسق.

3- علاقات التوتر أو العلاقات بين طاقة التكرار في القصة، و طاقة التكرار في الحكى.

أما "بول ريكور PAUL RICOEUR " فيطرح قضية الزمن لكن من زاوية أخرى، إذ يقف موقفا مغايرا من آراء الروائيين الجند، فهو ينطلق من المنطلق ذاته الذي انطلق منه إخوان الصفاء رغم التباعد الزمني بينهما، فهو يعتبر الزمن ملهم شر موجود.[4]

يبقى أن نشير في الأخير إلى أن تعدد الآراء حول قضية الزمن يدل على اتباع مجال البحث فيه، و ما تلك الأراء إلا لمسات خفيفة من بين الكثير الذي قيل حوله، ولم يكن الغرض من عرض هذه الآراء حصرها، إنما التأكيد على أهمية عنصر الزمن في تحليل الخطاب من جهة و التأكيد على وجوده الموضوعي في أي خطاب س ردي من جهة أخرى- فالزمن في الخطاب كالخطاب نقصه، و لهذا لا ينبغي الأخذ بتلك الآراء التي تجرده من المحتوى الزمني الموضوعي، و لا يمكن أبدا أن يستغني الخطاب عن الزمن، و إن افترضنا مجرد افتراض وجود زمن خال من السرد، فإنه من المستحيل أن نفكر في سرد خال من الزمن،

[1] Oswald Ducrot/Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. P. 40
[2] Ibid, p. 403
[3] Gerard Genette. P. 77
[4] Paul Ricoeur, Temps et recit, L'intrigue et le récit historique. Editions du Seuil, 1985, P 25

و يدعم "جنيت هذا بقوله أن القصة قد تروى دون تحديد مكان وقوع الأحداث، في حين يكاد يكون مستحيلا إهمال عنصر الزمن فيها، ومن هنا، فإن الزمن هو السابق على السرد .

و قبل البدء في دراسة الزمن في " الزيني بركات ولابد من الإشارة إلى أن الرواية تتكون من (284) صفحة، و هي مقسمة إلى فصول، لكن السارد فضل استبدالها بكلمة سرداق"، ووزعها على سبعة أقسام لا تلبث أن تتقسم من جديد، و تأخذ عناوين جديدة، لذلك ارتأينا تقسيم الرواية إلى عشرة وحدات بحسب الحدث الرئيسي في كل وحدة، و هذا التقسيم هو الذي ستبنى عليه هذه الدراسة.

الوحدة الأولى : بداية الهزيمة. " تضطرب أموال الديار المصرية .....لم أسمع ديكا واحدا يصيح"تمتد من الصفحة (0) إلى الصفحة (15)، و يتمثل الحدث الرئيسي فيها في وصول الرحالة البندقي إلى القاهرة التي عم فيها الاضطراب، و اختفاء الزيني بركات بن موسى.

الوحدة الثانية : الاعتقال. أول النهار وفيه تغرق البيوت في تعاس طري ..... شالوا علي بن أبي الجود.

تمتد من الصفحة (19) إلى الصفحة (28)، يتمثل الحدث الرئيسي فيها في خلع علي بن أبي الجود من منصبه الحسبة و اعتقاله.

الوحدة الثالثة : التعيين

مرسوم شريف ..... ليرقب رد الفعل بينهم "

تمتد من الصفحة (29) إلى الصفحة (57)، و فيها يتم تعيين الزيني بركات واليا للحسبة و خلفا لعلي بن أبي الجود.

الوحدة الرابعة : الخطبة. : أخيرا هاهو مبروك..... على صحة ما أقول .

تمتد من الصفحة (59) إلى الصفحة (70)، بعد تعيين الزيني بركات محتسبا جديدا تأتي خطبته كحدث رئيسي في هذه الوحدة.

الوحدة الخامسة : الزيني حاكما " يا أهالي مصر .... ، ، ، ، ، ، ، ، .. زكريا بن راضي له السلام ... تعتد من الصفحة (71) إلى الصفحة (99)، و فيها يباشر الزيني بركات مهامه كحاكم

الوحدة السادسة : زكريا نائيا الفوانيس

من الآن فصاعدا ..... فيبصر القلب و يرى ما يري".

تنتمي الصفحة (16) إلى الصفحة (122)، و يتمثل الحدث الرئيسي فيها في تعليق القوانيس في الطرقات، وذلك باقتراح من الزيني، و بقاء زكريا بن راضي نائبا للحسبة.

الوحدة السابعة : الإعدام.

يا أهالي مصر ..... و الحق أنتي فزعت :

تمت الصفحة (123) إلى الصفحة (139)، و تتضمن وقائع تعذيب و إعدام علي بن أبي الجوده

الوحدة الثامنة : اللقاء " أمر مولانا السلطان بترسيم الأمير كرتياي ..... سقط في كمين متقن أعذه باغ بعناية ".

تمتد الصفحة (141) إلى الصفحة (216)، يتم اللقاء في هذه الوحدة بين "الزيني بركات" و زكريا بن راضي، و يطلب منه "الزيني" العمل معا من أجل إحلال الأمن و العمل في البلاد.

الوحدة التاسعة : الحرب و الهزيمة. : فيما يبد و قدر لي أن أشاهد ..... أه أعطيوني ، وهدموا حصوني .

تمتد الصفحة (218) إلى الصفحة (277)، و تقع فيها الحرب بين عساكر أبن عثمان و عساكر السلطان المصري، و تكون النتيجة انهزام الجيش المصري

الوحدة العاشرة : الزيني محتسبا جديدا في ترحالي الطويل لم أرى مدينة مكسورة ..... و ابتعد النداء الخافت في هواء شاحب."

تمتد من الصفحة (279) إلى الصفحة (281)، و يتم فيها الإعلان عن تعيين الزيني بركات محتسبا للقاهرة من جديد.

الفصل الأول :

زمن القصة و الخطاب في رواية

"زينب بركات"

1. بين زمن القصة و زمن الخطاب.
2. مفهوم المفارقات السردية.
3. أنواع المفارقات

1- بين زمن القصة و زمن الخطاب:

إن دراسة النظام الزمني في الخطاب السردي يعني المقابلة بين ترتيب الأحداث فيه و بين تتابع ترتيبها في القصة، و يختلف زمن القصة عن زمن الخطاب في كونه يخضع دائما الترتيب الطبيعي للأحداث، عكس زمن الخطاب الذي لا يخضع لهذا التتابع[44] .

و يمكن أن نمثل لهذين الزمنين بالأشكال التالية :

زمن القصة : و يأتي دائما على هذا الشكل : أ ← ب ← ج ← د .

أما زمن الخطاب فقد يأتي على هذا الشكل :

ج ← ب ← د ← أ.

أو: د ← ج ← أ ← ب.

أو: ب ←ج ← د ← أ **...**

يظهر زمن القصة في الرواية - محل الدراسة من خلال تتابع الأحداث التي حدد السارد بدايتها بسنة (912هـ)، ونهايتها بسنة (923 هـ)، بينما حدد بداية زمن الرواية بتاريخ (**922**هـ) ليعود إلى سنة (912 هـ)، و يستمر حتى سنة (923 هـ).

من الواضح- إذن- أن زمن الرواية ليس مقيدا أو مشروطا بترتيب الأحداث ترتيبا طبيعيا أو منطقيا، و على هذا الأساس، فإن الزمن فيها يأخذ الشكل التالي **:**

ها ← أ ← ب ← ج← د← هـ ← ← و .

و بالتالي فإن المؤشرات الزمنية التي وردت فيها جاءت وفق الترتيب التالي:

(922هـ) ← (912هـ) ← (913 هـ) ←(914هـ) ←(920هـ) ←(922 هـ) ←(923هـ) (*)

يمكن اعتبار سنة (922هـ) افتتاحية مزدوجة، فهي تعتبر افتتاح بداية الرواية من جهة، و افتتاح نهايتها من جهة أخرى .

إضافة إلى هذه السنوات، هناك بعض التواريخ التي كانت مجرد محطات مر بها السارد،

ولم يتعمق في ذكر الأحداث التي وقعت فيها، كذكره للأعوام التالية **:**

(805 هـ) و يمثل هذا التاريخ مجيء الشيخ ريحان إلى الجامع العتيق[45].

(902 هـ) و هو يشير إلى السنة التي ولدت فيها سماح بنت الشيخ ريحان[46].

---

[44] ينظر، حميد لحمداني، ص 73 .

*جاءت في الرواية (913 هـ) و هو خطأ مطبعي، لأن الأحداث الواردة في الوحدة الأخيرة امتداد للأحداث التي جاءت قبلها.

[45] جمال الغيطاني، الزيني بركات، ط.3، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1985، ص. 169

(904 هـ) و فيها وقعت حادثة عدم إحكام الأمير سلامش لف الشاش حول العمامة السلطانية الكبيرة، مما أدى إلى غضب السلطان عليه[47].

(917 هـ) يمثل تاريخ وصول الرحالة البندقي فياسكونتي جانتي للمرة الثانية إلى القاهرة[48].

استعاد السارد بواسطة هذه التواريخ بعض الأحداث التي لا تكتسي الأهمية التي تكتسيها الأحداث الأساسية الأخرى، و التي وقعت بين (912هـ) و (923هـ)، لكن هذا الاهتمام لم يشمل كل هذه السنوات، إنما انصب فقط على بعضها : (912هـ)، (913هـ)، (914هـ)، (920هـ)، (922هـ)، (923هـ)، في حين لم يذكر السنوات ما بين (914هـ)، و (920هـ) ، و سنة(921 هـ).

يمتد زمن القصة إذن- على مدى (12) سنة، سجلت فيها ست سنوات، و حذفت ست سنوات أخرى، و هنا نلاحظ نوعا من عدم التكافؤ، و يبرز التفاوت الكبير بين السنوات المسجلة من خلال الصفحات التي خصصت لكل منها، فتحتل سنة (912هـ) -مثلا- المساحة الكبرى في الرواية (95) صفحة، تناول فيها السارد قضية إزالة علي بن أبي الجود من منصبه كوالي للحسبة في القاهرة و وقائع تعذيبه، و تعيين الزيني بركات بن موسى محتسبا جديدا، و ركز على ثلاثة أشهر من هذه السنة : شوال، ذو القعدة و ذو الحجة، كما ركز على أربعة أيام : الأربعاء عاشر شوال، ثامن شوال، الثلاثاء سابع ذي القعدة، الجمعة عاشر ذي الحجة .

و أطال السارد الحديث عن شهر شوال، إذ شغل (67) صفحة، و كرر يوم الأربعاء عاشر شوال سبع مرات، وذكر أجزائه ك: أول النهار، وذلك في قوله: "ينسل المماليك أول النهار[49]"و أول الليل، في قوله: "الآن يطل زكريا من طاقة المشربية، الشتاء يتدثر بليل أسود بارد "[50]

و ذكر الثامن شوال و هو تاريخ إصدار مرسوم تعيين الزيني بركات واليا على الحسبة في القاهرة[51]، و الثلاثاء سابع ذي القعدة، و فصل في أجزائه، فذكر صباح الثلاثاء مرة واحدة[52] و المساء ثلاث مرات [53]، و الليل مرتين[54] ، وقد شغل الحديث عن هذا الشهر حوالي (22) صفحة، و يليه حديث

---

[46] الرواية، ص. 175.
[47] الرواية الصفحة نفسها.
[48] الرواية ص195
[49] الرواية، ص19 .
[50] الرواية ص 64.
[51] الرواية ص29.ص30
[52] الرواية ص 85
[53] الرواية ص 97.ص 98
[54] الرواية ص 100 .ص 101

عن الجمعة عاشر ذي الحجة [55]، والذي استغرق (27) صفحة، ثم أدرج رأي قاضي الحنفية في قضية الفوانيس، التي أمر الزيني بتعليقها، و الذي شغل سطرين تقريبا، وهو مؤرخ في سنة(913 هـ) ، و التي سجلت من خلال شهر واحد و يوم واحد (أول محرم)[56]. أما سنة (914 هـ) فهي مسجلة من خلال شهر رجب [57] ، و خصص لها السارد حوالي ثلاثة صفحات .

ثم انتقل إلى الحديث عن اللقاء الذي جرى بين الزيني بركات و زكريا بن راضي، لكنه لم يحدد الحقبة الزمنية التي تم فيها هذا اللقاء، و ما يليه من أحداث، فهذه الفترة لم تسجل كأحداث وقعت سنة (914هـ)، و لا كأحداث وقعت سنة (920هـ)، إنما وقعت خلال الخمس سنوات التي حذفها السارد، و هذا الحذف لا يحس به المسرود له، إذ لولا و جود تاريخ (914هـ) قبل اللقاء و (920هـ) بعده لما أدرك أن هناك حذفا، لكنه سيدرك و هذا في سنة (920هـ)- العلاقة التي توطدت بين الزيني و زكريا، و التي كانت نتيجة لهذا اللقاء، إذ كانت العلاقة بينهما قبل ذلك علاقة صراع، و قد شغلت هذه الأحداث ما يقارب **(52)** صفحة .

انتقل السارد -بعد هذه السنوات الثلاث المتتالية- إلى سنة(920هـ) ، و ركز فيها على شهر ذي القعدة[58] ، الذي شغل ما يقارب تسع صفحات، و كل ما يليها من أحداث تعتبر -كذلك حذفا، فالسارد لم يدرج هذه الأحداث ضمن سنة (920هـ)، و لا ضمن سنة (922هـ)، وهذا الحذف مثله مثل الذي حدث بين (914هـ) و (920هـ)، لا يحس به المسرود له، لأن الرواية عبارة عن مشاهد كبرى .

وذكر- في موقع آخر- سنة(922 هـ)[59] ، و خصص للأحداث التي وقعت فيها حوالي**(60)** صفحة، و هي مسجلة من خلال ثلاثة أشهر : رجب، جمادى الأولى و شعبان .

جاء شهر رجب في بداية الرواية، ليؤرخ للمقتطف الأول للرحالة البندقي الذي زار القاهرة [60]، و ورد شهر جمادى الأولى في ختام التمهيد الذي جاء قبل الرسالة التي أعدت بمناسبة اجتماع كبار البصاصين في ربوع العالم [61]، و سجل شهر شعبان من خلال يوم واحد (الجمعة 15 شعبان) الذي تكرر مرتين [62]، و تلت الرسالة - المذكورة سابقا- نيول ختم كل ذيل منها بإشارة إلى تاريخ صدوره، و يتمثل في سنة (922هـ)[63] ، أما سنة (923هـ) فلم تشغل سوى ثلاث صفحات، و لم يذكر السارد أي شهر

---

55 الرواية ص 106.
56 الرواية ص 111.
57 الرواية ص 137
58 الرواية ص 195
59 الرواية نفس الصفحة
60 الرواية ص 04
61 الرواية ص 222.
62 الرواية ص 243.ص 245
63 الرواية ص 235 إلى ص 238

منها.[64] إن سنتي (912هـ) و (922هـ) تحتلان المساحة الكبرى في الرواية مقارنة بالسنوات الأخرى، خاصة سنة (913هـ) التي لم تكن سوى ممرا ضيقا، انتقل السارد عبره لسرد أحداث وقعت في السنوات التي تلتها، إضافة إلى سنة(923 هـ) التي لم يتوقف عندها طويلا .

و التركيز على سنتي (912هـ) و (922هـ) له دلالته العميقة، ف (912هـ) تمثل فترة تعيين الزيني واليا للحسبة، و هذا هو الحدث الرئيسي في الرواية، و تتكرر هذه السنة على مدى خمس و حدات، و تستوعب مشاهد كثيرة تسهم في تطوير حبكة الرواية، وهي تمثل نقطة بدء السرد، لكنها بعيدة عن مراحل تفجر الأحداث، و رغم ذلك فهي التي تضبطها، و كل ما يليها من أحداث مرتبط بها. أما سنة (922هـ) فهي بؤرة الزمن **(DISPATCHING NARRATIF)** كما يسميه "جنيت"[65] ، لأنها تأخذ موقع الافتتاحية المزدوجة -كما سبق الذكر- و يمكن اختزال الرواية إلى وحدتين أساسيتين هما: الوحدة الثالثة (التعيين) و الوحدة التاسعة (الحرب/ الهزيمة) ،و إلى سنتين أساسيتين هما (912 هـ) و (922 هـ).

نجد إلى جانب هذه التحديدات الزمنية **(Les déterminations temporelles)** الأيام، و قد ذكر السارد إضافة إلى أيام: الثلاثاء، الأربعاء و الجمعة، أيام: الاثنين، السبت و الخميس، و فصل – أحيانا- في أجزائها كذكره : الفجر، الصباح، أول النهار، العصر ، المساء، أول الليل، ساعات الليل الأخيرة، و لعل هذا التحديد هو الذي يمكن المسرود له من التمييز بين الفترات الزمنية التي وقعت فيها أحداث معينة خلال اليوم الواحد، و بالتالي يتم إدراك الحدث الأول، ثم الثاني الثالث و هكذا .

و من التحديدات الزمنية -أيضا- الفصول، و قد حصرها السارد في فصلي الشتاء و الصيف، و يمتد الشتاء من تعيين الزيني ناظرا للحسبة إلى حين عودته من إحدى مهامه خارج القاهرة، أي من سنة (912هـ) إلى (920هـ)، و تعرض السارد خلال هذه الفترة و التي تقدر بثماني سنوات- لفصل الشتاء، و لم يتعرض لفصل آخر، و شغل الحديث عنه حوالي (176) صفحة، إذ استعمل بعض الإشارات الدالة على أن الأحداث وقعت- فعلا- في فصل الشتاء، منها قوله: "أمطار تلمس أرضا جافة"[66] ،"رعد أول الشتاء يفاجئ أهل مدينة آمنة" [67]، "الشتاء ساهي الوجه، بارد النظرات، عفي البرودة"[68] "من عادات الصفدي شرب التمر هندي و الخروب و الليمون في قرارة أيام الشتاء" [69]،"الآن يطل زكريا من طاقة المشربية، الشتاء يتدثر بليل أسود بارد"[70]، "شتاء العام لم نر مثله بردا بعد.. ليس باردا كالسنين الماضية .. لكنه في الرواق لا

---

64 الرواية ص 279.
65 Gérard Genette, p. 87
66 الرواية ص 21
67 الرواية ص 24
68 الرواية ص 45
69 الرواية ص 50
70 الرواية ص 64

يطاق[71].

و امتدت الأحداث التي وقعت في فصل الصيف من سنة (920هـ) إلى سنة (922هـ)، أي من بداية الحرب التي شنها العثمانيون على مصر إلى الهزيمة التي بليت بها، و احتلالهم لها، و شغل هذا الفصل حوالي (80) صفحة، و هو عدد قليل بالمقارنة مع عدد الصفحات التي شغلها فصل الشتاء، مما يدل على فصل الصيف قول السارد: " اليوم نبشركم بقلع السلطان الصوف الأسود و ارتدائه اللباس الأبيض مع دخول الحر" [72]، "فانطلق في قلبه (السلطان الغوري) جمرة نار لا تنطفئ، و كان ذلك اليوم شديد الحر كثيف الغبار"[73]، لكن عرقا غزيرا انبثق من جلده بلل ثيابه"[74]

إن التركيز على فصل الشتاء له دلالته العميقة في الرواية، إذ يشير إلى القمع المسلط على الرقاب لمدة طويلة، و حتى لباس السلطان يشير دلاليا -إلى ذلك إلباسه السواد طوال أيام الشتاء)، أما الصيف فقد كان قصيرا (سنتان)، مع دخوله خلع السلطان الأسود، و ارتدى الأبيض، لكن هذا الصيف سيعقبه شتاء أطول بدخول العثمانيين إلى القاهرة و أحتلالهم لها.[75]

هذه ملاحظات عامة حول التحديدات الزمنية الموظفة في الرواية و التي طغت فيها بشكل يثير الانتباه، و هي تحيل على أحداث بعينها، و هذه الأحداث لا تخضع للترتيب المنطقي، وهذا ما يجعل نظام الرواية نظاما خاصا، يختلف عن النظام الزمني في القصة، و تتمثل خصوصيته في استخدام السارد المفارقات السردية **(Anachronies Narratives)** .

2- مفهوم المفارقات السردية :

و يعنى "جنيت" بالمفارقة مختلف أشكال التنافر و الانحراف بين ترتيب أحداث الخطاب و أحدث القصة، و هذا يشير بطريقة ضمنية إلى وجود نوع من الدرجة الصفر**(Le degré zéro)** ، تلتقي عندها كل من القصة و الخطاب [76]، و يرى أنه يمكن وضع المفارقات الزمنية في الماضي و المستقبل بعيدا عن لحظة الحاضر[77].

1- أنواع المفارقات السردية :

يميز "جنيت" بين نوعين من المفارقات :

---

[71] الرواية ص 75
[72] الرواية ص 203
[73] الرواية ص 246.
[74] الرواية ص 248
[75] ينظر، سعيد يقطين، ص 141 .
[76] Gérard Genette, p. 78, 79.
[77] Ibid, P., 89

3-1- اللواحق **(Analepses)** :

قد يتبع السارد تسلسل الأحداث وفقا لترتيبها في القصة، ثم يعود إلى الماضي ليسرد أحداثا سابقة للنقطة التي بلغها في السرد[78].

و يميز بين لواحق داخلية **(Analepses internes)** و لواحق خارجية **(Analepses extérieures)**، وذلك انطلاقا من تعيينه لنقطة المدى خارج الحقل الزمني للحكي الأول **(Récit premier)**أو داخله، فلا تتداخل اللاحقة الخارجية معه، و تقتصر وظيفتها على توضيح أحداث سابقة للمسرود له، أما زمن اللاحقة الداخلية فهو زمن القصة نفسه، وهذا ما يؤدي إلى التصادم بينهما[79].

و نظرا لهذا التداخل ميز "جنيت" بين نوعين من اللواحق الداخلية **:**

-لواحق داخلية قريبة من القصة (Analepses internes hétérodiégétiques) : تتم في خط القصة من خلال مضمون حدثي مغاير للحكي الأول، وذلك -مثلا- عند تقديم شخصية و استحضار ماضيها[80].

-لواحق داخلية متضمنة في القصة :(Analepses internes homodiégétiques) توضع في خط الحدث ذاته الذي يجري فيه الحكي الأول [81]، و يقسم هذا النوع إلى **:**

-لواحق متممة (Analepses Complétives) :تأتي لملئ ثغرات سبق القفز عليها زمنيا، أو تم المرور بجانبها دون أن يشكل ذلك حذفا زمنيا، و هو يسميه الحذف المؤجل**(paralipse)**[82] .

-لواحق مكررة (Analepses repetitives) :تأتي للتذكير بأحداث ماضية وردت فيما قبل، و تسمى- كذلك- التذكير **(Rappel)**[83] .

-و يقسم اللواحق الخارجية إلى نوعين **:**

-لواحق جزئية **:(Analepses partielles)** ننتهي إلى حذف دون أن يصل إلى الحكي الأول، وتتمثل وظيفتها في إعطاء معلومة ضرورية لعنصر محدد في حركة القصة **.**

-لواحق كلية **: (Analepses Completes)** تمتد لتغطي مدة طويلة في الماضي إلى الحكي الأول[84].

3-2- السوابق **(Prolepses)** :

---

78 Ibid, P 90
79 Ibid, P 90.91
80 Ibid,P91
81 Ibid, P 92
82 Ibid, P. 92.93
83 Ibid, P. 95
84 Ibid, P101

قد يتبع السارد تسلسل الأحداث في القصة، ثم يسرد أحداثا لم تقع بعد، و يتوقع حدوثها، وهذا يعني أنها مجرد تطلعات سابقة لأوانها، و يسميه "جنيت" -كذلك- بسبق الأحداث**(Anticipation)** ، و هو أقل تداولا في الدراسات النقدية[85]، و تنحصر وظائف السوابق في دور الإخبار والإعلان .

وكما هو الحال بالنسبة للواحق فإن السوابق -كذلك- نوعان :

-سوابق داخلية **:(Prolepses internes)** و هي عبارة عن تنبؤات لا يخرج مداها عن الحكي الأول **.[86]**

-سوابق خارجية **: (Prolepses extérieures)** و هي عكس السوابق الداخلية، إذا يخرج مداها عن هذا الحكي[87].

و يميز " جنيت" بين نوعين من السوابق الداخلية:

- سوابق متممة **(Prolepses Complétives) :**ترد لتسد -مسبقا- ثغرة لاحقة .

- سوابق مكررة **(Prolepses répétitives) :** تكرر - مسبقا- مقطعا سرديا لاحقا[88] و وظيفتها تهيئة المسرود له لما سيحدث، مثل ظهور شخصية في الحدث لا تتدخل في مجريات السرد إلا فيما بعد[89].

لا تأتي المفارقات الزمنية بسيطة دائما، بل يمكن أن تأتي مركبة**(Complexes)** ، حيث تظهر مفارقات جزئية **(partielles)** في المفارقة الأساسية سواء أكانت لاحقة أو سابقة، كأن ترد السابقة ضمن اللاحقة **(prolepse sur analepse)** أو العكس[90].

---

85 Ibid, P105
86 Ibid, P 106
87 Ibid, P 107
88 Ibid, P 109
89 Ibid, P 111 ,112
90 Ibid, P91

الفصل الثاني :

المسار الزمني لرواية

"الزيني بركات"

1- مدى و إتساع المفارقات الزمنية

2- المسار الزمني في رواية الزيني بركات

1- **مدى (Portée) و اتساع (Amplitude) المفارقات السردية :**

لكل مفارقة سردية مدى و اتساعا، و يمثل مدى المفارقة **(la portée de l'anachronie)** المجال الفاصل بين نقطة انقطاع السرد، و بداية الأحداث المسترجعة أو المتوقعة، و يرى" جنيت" أنه يمكن لمفارقة ما أن تعود إلى الماضي أو تقفز إلى الأمام، و تكون قريبة أو بعيدة عن لحظة الحاضر، أي عن لحظة القصة التي يتوقف فيها السرد من أجل أن يفسح المكان لتلك المفارقة، ويسمي مدى المفارقة هذه المسافة الزمنية، و يمكن للمفارقة أن تغطي هي نفسها مدة معينة من القصة قد تطول أو تقصر، وهذه المدة هي ما يسميه اتساع المفارقة **(Amplitude de l'anachronie)** ، و يقاس مدى المفارقة بالسنوات و الشهور و الأيام، و يبرز هذا الاتساع في الخطاب من خلال المساحة التي يحتلها ضمن زمن السرد، والتي تقاس بالسطور و الفقرات و الصفحات [91].

2- **المسار الزمني في رواية "الزيني بركات" :**

يستحضر السارد في الراوية الزمن الماضي الذي يرهن في الحاضر، لذلك نلاحظ هيمنة المفارقات التي تتداخل فيها الأزمنة، و هذا ما يبرز بوضوح تكسير خطية الزمن، و لكي تتسنى لنا دراسة هذه المفارقات، لا بد من تحليل كل وحدة من وحدات الرواية على حدة .

الوحدة الأولى : بداية الهزيمة .

تبتدئ هذه الوحدة بسابقة تلعب دور الإعلان **(Annonce)** الذي يأتي -عادة- ليعلن عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد لاحقا، و يرى "جنيت" أن دور الإعلان في تنظيم السرد يتمثل في خلق حالة انتظار في ذهن المسرود له، وقد يحسم هذا الانتظار بسرعة في حالة الإعلانات ذات المدى القصير، مثل تلك التي توجد في نهاية الفصول، و التي تحيل على ما سيحصل من أحداث في الفصل الموالي، وقد تطول فترة هذا الانتظار في حالة الإعلانات ذات المدى البعيد لتستغرق مئات الصفحات [92]، كما هو الحال في هذه السابقة التي ابتدأت بها الرواية، و التي لا تتحقق إلا في الوحدة التاسعة، و استغرقت حوالي (200) صفحة .

جعل السارد سنة (922هـ) بداية الرواية، و تحدث فيها عن زيارته للقاهرة، و أول ما لاحظه عند حلوله بها، اضطراب الديار المصرية: "تضطرب أحوال الديار المصرية هذه الأيام وجه القاهرة غريب عني، ليس ما عرفته خلال رحلاتي السابقة، أحاديث الناس تغيرت..."[93] فهو يعلن هنا صراحة- عما لم يسبق له

---

[91] Ibid, P. 89, 90.

[92] Gérard Genette P 111,112

[93] الرواية ص 07.

رؤيته في المدينة .

و يؤطر الحاضر هذه الوحدة، إذ تبدأ به و تنتهي به، و ما يدل على ذلك كلمة : "الليلة"، في قول السارد: " الليلة تنتظر البيوت أمرا قد يأتي غدا أو بعد غد.."[94] ، و تمثل هذه الليلة حاضر إنجاز الخطاب.

و كرر لفظة "الآن" الدالة على الليلة نفسها أربع مرات، و ذلك في قوله :

"أرى القاهرة الآن، رجلا معصوب العينين... تتقارب رؤوسهم الآن، يتهامسون الآن ..."[95] ، "غير أنني حتى الآن لم أسمع ديكا واحدا يصيح"[96]

يتضمن هذا الحاضر لاحقة داخلية متممة، وهي ممتدة فيه، يخبرنا فيها السارد عن سيره في شوارع الحسينية قبيل العصر (الماضي القريب)، من أجل البحث عن أصحابه القدامى، و يتذكر الأحوال المتغيرة في مصر، و ذهابه إلى المقهى، و تساؤل العامة – هنالك- عن السر في اختفاء الزيني بركات بن موسى، ثم ينتقل إلى ذكر أعمال الزيني (تفتيش أسعار البضائع، تعقب أوكار الفساد ...)، و استغرقت هذه اللاحقة صفحتين من السرد، و سدت ثغرة تم القفز عليها زمنيا .

و يعود السارد بذاكرته من خلال اللاحقة الداخلية المتممة التي استغرقت صفحتين- إلى تلك الحادثة الطريفة التي وقعت لرجل يدعي العطار، و كيف استجدت الجارية الرومية التي أشتراها الزيني، ليخلصها من هذا الرجل[97] .

ثم يتذكر في حوالي تسعة أسطر- إحدى خطب الجمعة (و تحديدا خطبة الجمعة الماضية)، و ما قاله أحد المشايخ عن الريح التي سيرسلها الله، و التي ستكنس كل شيء، وهذا ما أثار خوف الرجال في المسجد، فتباكوا، و خيل إليهم عند خروجهم منه أنهم يشمون رائحة فيها نفحة المسك، و فزعوا لذلك ظانين أن يوم الهلاك آت لا ريب فيه[98] ، و هذه المفارقة مركبة إذ تتضمن هذه اللاحقة الداخلية المتممة سابقة خارجية استغرقت خمسة أسطر .

كما يتذكر الطابور الذي رآه يمر بجوار المقهى، الذي كان جالسا فيه، و يعود بذاكرته انطلاقا من هذه اللاحقة الداخلية المتممة إلى الماضي البعيد(لاحقة خارجية جزئية) ليخبرنا - في أربعة أسطر- عما رآه في طنجة و في إحدى جزر المحيط الهندي: "نفس ما رأيته في طنجة، طابور رجال يعبرون أسوار

---

94 الرواية نفس الصفحة
95 الرواية ص 14
96 الرواية ص 15
97 الرواية ص 10ص 11
98 الرواية ص 12

المدينة البيضاء.. "[99]، و جعله هذا الموقف يفكر في الموت، فيقول : "ربما أموت بعد لحظة، أجهل هذا ... أعلم بمفارقة الدنيا في لحظة معينة..." [100]

ثم يستذكر ما وقع بالأمس (اليوم الذي سبق ليلة إنجاز الخطاب) من هجوم المماليك علي خان الخليلي، و ما قاموا به من أعمال تخريبية و حرق، و انهزام السلطان قرب حلب ، و قد استغرقت هذه اللاحقة الداخلية المتممة حوالي (12) سطرا، كما يستذكر لحظة الغروب (التي سبقت ليلة إنجاز الخطاب)، هذه اللحظة التي أدخل الناس فيها إلى بيوتهم دون رغبة منهم[101]، و استغرقت هذه اللاحقة الداخلية المتممة ثلاثة أسطر، و سدت ثغرة زمنية تم القفز عليها .

و تنتهي هذه الوحدة بالحاضر، حيث يصف السارد مدينة القاهرة يقول: "أرى القاهرة الآن رجلا معصوب العينين مطروحا فوق ظهره ينتظر قدرا خفيا ...."[102]

و يتضح مما سبق أن أحداث هذه الوحدة جاءت وفق الترتيب التالي :

1- ليلة الاضطراب (ح).
2- خروج الرحالة إلى المدينة (ل).
3- حادثة العطار (ل).
4- خطبة الجمعة (ل).
5- الريح التي سيرسلها الله (س).
6- حلول الرحالة بالمقهى (ل).
7- تذكر الرحالة ما رأه في طنجة (ل).
8- تفكير الرحالة في الموت (س).
9- هجوم المماليك على خان الخليلي (إلى).
10- إدخال المماليك الناس عنوة إلى بيوتهم (ل).
11- ليلة الاضطراب (ح).

يمثل الحرف (ل) لاحقة، و الحرف (ح) حاضر، و الحرف (س) سابقة .

تتجلى -اعتمادا على هذا الترتيب- تكسير خطية الزمن، فزمن هذه الأحداث يتأرجح بين الماضي الحاضر و المستقبل، و يمكن التمثيل له بالشكل التالي :

---

99 الرواية ص 13
100 الرواية الصفحة نفسها
101 الرواية ص 14
102 الرواية الصفحة نفسها

يمثل المحور الأفقي الأحداث كما جاءت في هذه الوحدة، و نشير إليها الأرقام، و يمثل المحور العمودي الأزمنة الثلاثة (الماضي، الحاضر، المستقبل) .

الوحدة الثانية : الاعتقال .

ينتقل السارد في هذه الوحدة إلى سرد أحداث يعود تاريخ وقوعها إلى سنة (912هـ)، أي قبل عشر سنوات من التاريخ الأول (922هـ)، و يتمثل الحدث الرئيسي فيها في إزالة علي بن أبي الجود من منصبه كوالي للحسبة و اعتقاله .

تبدأ أحداثها في أول النهار، الذي يبدو هادئا "و فيه تغرق البيوت في نعاس طري" [103] و يستحضر السارد أعمال علي بن أبي الجود المعتادة، و يواصل في سردها إلى أن يصل إلى الليلة التي تم فيها القبض عليه، و استغرقت هذه اللاحقة الخارجية الكلية صفحة و نصف، غطت فترة زمنية طويلة من ماضي علي، و امتدت إلى الحاضر، و كشفت عن بعض جوانب حياته .

و يعود السارد ثانية إلى أول النهار، إلا أن المدينة هذه المرة مضطربة، و ذلك بسبب إخبار المنادي العامة باعتقال علي، ولا أدل على ذلك من قول السارد" :نداءات توقظ النيام، تفك تلامس الجفون "[104]، و قوله -كذلك- : " واجهن النساء النهار الجديد بفرحة وليدة"[105]، و كانت هذه الفرحة نتيجة لهذا الاعتقال، و كان سعيد الجهيني أحد الذين أثر فيهم الخبر، و قد بلغه و هو في رواق الصعايدة في جامع الأزهر، فتصور عليا "مشهرا مجرسا فوق حمار أزعر لا ذيل له"[106]

و تساءل عما ستأتي به الأيام: "لكن ماذا تأتي به الأيام ؟؟ بل ماذا يخبئ اليوم نفسه؟ ربما انتهى الأمر بفتنة بين الأمراء ...ربما جاء من هو أعتى و أقسى"[107]، وستتحقق هذه السابقة الداخلية المتممة - التي استغرقت ثمانية أسطر في الوحدة السابعة (الإعدام)، و بهذا سدت مسبقا ثغرة لاحقة .

تتم العودة إلى الحاضر، فيصف السارد انفعال سعيد، و هو يفكر في مصير البلاد، وفي الشخص الذي سيخلف عليا، يقول: "هنا ضرب سعيد عود القش فانقصم، نفض يديه، عزل علي بن أبي الجود فيه رحمة بالعباد.[108] "و يتضمن هذا الحاضر لاحقة داخلية متممة، يخبرنا السارد من خلالها عن رغبة عمرو بن العدوى الجامحة في قتل علي لفرط أفعاله الظالمة، وهذه المفارقة مزدوجة إذ وردت فيها سابقة داخلية

---

[103] الرواية ص 19
[104] الرواية ص 21
[105] الرواية ص 22
[106] الرواية الصفحة نفسها
[107] الرواية ص 23
[108] الرواية الصفحة نفسها

متممة تتعلق بعزم عمرو على تنفيذ رغبته: "سأقتله الأريح الخلق منه"[109]، و هذا ما جعل سعيدا يأخذ حذره منه، خاصة بعد أن أوصاه الشيخ أبو السعود بأن يحتاط منه، و استغرقت هذه المفارقات ما يقارب صفحتين من السرد، و وقعت أحداثها قبل ثلاثة أشهر من حاضر إنجاز الخطاب .

ثم تصور سعيد نفسه معتقلا، كما تصور ذهابه إلى بيت الشيخ ريحان، أين تتاح له رؤية حبيبته سماح بعد عودته من عند الشيخ أبي السعود، و يترك خيال سعيد هذه التصورات ليعود إلى الواقع، فيتساءل هو و من معه في المسجد عمن سيخلف عليا[110].

إن تصورات سعيد التي جاءت على شكل سوابق في هذه الوحدة، سيتحقق معظمها في الوحدات التي تليها، إذ يتم فعلا اعتقاله، و إشهار علي فوق حمار بالمقلوب .

تتم العودة إلى الحاضر ثانية، و فيه يرى سعيد عمرو فيأخذ حذره منه، و تتواصل النداءات التي تشهر اعتقال علي، فيفرح سعيد بهذا الاعتقال، و يتمنى لو أن سماح كانت معه لتشاركه فرحته -هذه- [111]، و هذه السابقة الداخلية المتممة لا تتحقق .

تنتهي هذه الوحدة بترديد الأطفال بعض الأقاويل في الشوارع- تعبيرا عن فرحتهم بهذا الاعتقال: "احزن .. احزن .. يا حسود .. شالوا علي بن أبي الجود[112]" .

وردت أحداث هذه الوحدة وفق الترتيب التالي :

1. وصف المدينة (ح)
2. عمال علي بن أبي الجود (ل).
3. وصف المدينة المضطربة (ح).
4. تصور سعيد اعتقال علي و إشهاره فوق حمار (س).
5. انفعال سعيد بسبب اعتقال علي (ح).
6. رغبة عمرو في قتل علي (ل).
7. عزم عمرو على قتل علي (س).
8. تصور سعيد نفسه معتقلا (س).
9. أخذ سعيد حذره من عمرو (ح).
10. تصور سعيد نفسه مع سماح (س).
11. فرحة العامة باعتقال علي (ح).

---

109 الرواية الصفحة نفسها
110 الرواية ص 25 ص26
111 الرواية ص 27
112 الرواية ص 28

لقد ولد الحاضر (الاعتقال) تساؤلات عن المستقبل، لذا فإن هذه التساؤلات ظلت موازية لما يمثله هذا الحاضر، و بهذا فإن هذه الوحدة تؤشر للمستقبل أكثر من الماضي عكس الوحدة الأولى[113].

تلي هذه الوحدة الوحدة الأولى مباشرة، رغم أن أحداث الوحدة الأولى وقعت سنة (922هـ)، و أحداث الوحدة الثانية وقعت سنة (912هـ)، و لو لا وجود هذه المؤشرات الزمنية لما أحس المسرود له بهذا الفاصل الزمني، خاصة و أن أحداث الوحدة الأولى وقعت في ليلة مضطربة، تشكل امتدادا ليوم مضطرب، و تنتهي هذه الوحدة و الاضطراب مازال قائما، لتبدأ الوحدة الثانية في أول النهار، و كأن هذا اليوم امتداد لليلة السابقة، و تستيقظ المدينة و قد عم فيها الاضطراب بسبب الاعتقال .

الوحدة الثالثة: التعيين .

يتمثل الحدث الرئيسي في هذه الوحدة في تعيين الزيني بركات واليا للحسبة، وتبدأ بإصدار مرسوم شريف خاص بتعيينه، و التذكير بأفعاله و خصاله الحميدة، و هذا القرار مؤرخ في الثامن شوال[114] .

يؤطر الحاضر هذه الوحدة، و فيه ينزل زكريا إلى السجن المدفون تحت بيته، أين يوجد الغلام شعبان، و يتضمن هذا الحاضر سابقة داخلية متممة، تجسد قلق و خوف زكريا من معرفة السلطان يأمر حبس هذا الغلام المقرب إليه، و هذا ما جعل زكريا يتصور اقتحام المماليك سجنه و بهدلته ثم العثور على شعبان. كما يتضمن هذا الحاضر لاحقة خارجية كلية نخبر بواسطتها عن قصة هذا الغلام الذي اختطفه أتباع زكريا، بهدف الحصول على بعض الأسرار التي تخص السلطان، و استغرقت هذه اللاحقة صفحتين، و هي تمتد إلى الحاضر الذي يتم فيه قتل الغلام: "يقرر (زكريا) خنق شعبان و دفنه، بنفسه راقب الخنق، مبروك وحده قام بالعملية..."[115]

يتصور زكريا بعد قتل شعبان - ماله لو لم يفعل ذلك، ف "ربما جاءوا واختطفوا شعبان حيا، يطلعون به إلى السلطان ... هنا لا بد من هلاك عظيم، فناء أكيد أن يوسط ، لن يخوزق، الشنق وقتئذ نعمة لا ترتجي ... سيأمر السلطان بشيه حيا على نار بدارية..."[116]، و هنا يستنكر السارد مصير الشبان الثلاثة الذين شوهدوا بصحبة الغلام: "من قبل شوي ثلاثة رجال على السفود، قيل مجرد القول أنهم شوهدوا بصحبة الغلام مرات"[117]، و استغرقت هذه اللاحقة الداخلية المتممة ما يقرب سطرين، و سدت ثغرة زمنية خلفها السرد وراءه .

---

113 ينظر، سعيد يقطين، ص109
114 الرواية ص 29.ص30
115 الرواية ص 34
116 الرواية الصفحة نفسها
117 الرواية الصفحة نفسها

و يعود ثانية إلى الحاضر ليبين اطمئنان زكريا بعد تخلصه من الأمر الذي أثقل كاهله (اغتيال شعبان)، و ليخبرنا بانتقال زكريا إلى مبنى الديوان، ليفتش بين دفاتره عن دفتر يحوي اسم الزيني بركات بن موسى، فلا يجد فيه سوى أربعة أسطر خطها شهاب الحلبي: "بركات بن موسى له مقدرة الاطلاع على النجوم، أمه أسمها عنقا[118]، و هنا يستذكر زكريا ما أخبره به بصاصوه عن الرشوة التي دفعها الزيني للحصول على منصب الحسية: ثلاث آلاف دينار يشتري بها بركات منصب الحسبة"[119]، و شغلت هذه اللاحقة الداخلية المتممة أربعة أسطر، و سدت ثغرة قفز عليها السارد في سرده .

ثم يخبرنا من خلال الحاضر- عن عزم زكريا على تدوين كل المعلومات المتعلقة بالزيني بنفسه، وعن رفض الزيني للمنصب الجديد، لصعوبة المهمة المكلف بها، و هذا الحدث مؤرخ في العاشر شوال[120]، و يمكن اعتباره سابقة داخلية متممة، لأن خطبة الزيني التي سيعلن فيها عن رفضه لهذا المنصب لم تتم بعد، و بهذا فقد سدت مسبقا- ثغرة زمنية لاحقة .

و يعرفنا -بواسطة اللاحقة الداخلية القريبة من القصة- بماضي الشيخ أبي السعود، و استغرقت هذه اللاحقة ثلاثة أسطر من السرد. و يبين في الحاضر -انتقال أتباع الشيخ إلى كوم الجارح، من أجل مطالبة الشيخ بإقناع الزيني بقبول الوظيفة: "لن يقنعه ... لن يقنعه إلا أنت "[121]

ثم يستذكر - في حوالي خمسة أسطر الماضي الذي كان فيه علي بن أبي الجود واليا على الحسبة، يمارس فيه الظلم و القهر على العباد، و هذه اللاحقة خارجية جزئية، لأنها بعيدة عن نقطة الحكي الأول، لكنها تخدم السرد، و تفيدنا بمعلومات ضرورية حول هذه الشخصية .

يعود السارد ثانية إلى تأكيد رغبة أتباع الشيخ في تولي الزيني منصب الحسبة، وذلك بإلحاحهم على الشيخ على إقناعه بقبول المنصب: "لن يقنعه بولاية الحسبة إلا أنت ... أنت يا مولانا و البركة فيك"[122]، وجاء هذا الطلب على شكل سابقة داخلية متممة، ستتحقق في هذه الوحدة، إذ يتم تعيين الزيني محتسبا، و سنخبر في الوحدة الرابعة بأن الشيخ كان وراء قبوله هذا المنصب: "لو لولا الشيخ العارف بالأصول و الفروع، الزاهد الناسك، ولي الله أبو السعود، لما قبل أبدا "[123] .

ثم يدرج السارد سابقة داخلية متممة تتعلق برغبته في الانتقال إلى جامع الأزهر، بعد سماعه بأن الزيني سيخطب أمام العامة[124] ، و ستتحقق هذه السابقة لاحقا بانتقاله إلى المسجد و استماعه إلى الخطبة،

---

118 الرواية ص 38
119 الرواية ص 39
120 الرواية ص 40
121 الرواية ص 34
122 الرواية ص 48
123 الرواية ص 62
124 الرواية ص 49

و قد شغلت ثلاثة أسطر من زمن السرد .

تتبادل بعض الشخصيات المتواجدة في المقهى الحديث حول الزيني، و من بينها عمرو بن العدوى، و يتضمن هذا الحاضر لاحقة داخلية متممة استغرقت ثلاثة أسطر، يتم فيها الإخبار عن لقاء الزيني بالشيخ أبي السعود، و ما قيل حول هذا اللقاء [125]، ليليه سرد ماضي عمرو، الطالب الفقير الذي كان يقرأ القرآن في بيوت الأعيان من أجل الحصول على بعض المال، و دخوله عالم البصاصة[126]، و كشفت هذه اللاحقة الخارجية الجزئية بعض جوانب حياة هذه الشخصية، و استغرقت أربع صفحات من السرد، و جاءت على شكل مفارقة مزدوجة أو مركبة، إذ تضمنت سوابق داخلية متممة لا تتحقق، كتصور عمرو لمجيء ذلك اليوم الذي سيكون فيه شخصا له هيبته و مكانته [127]، وردة فعل أمه التي ستظنه ميتا حين تسمع بوصول شيخ زاوية العميان من المدينة، و أبنها لم يرسل لها حتى حفنة سكر أو قطعة قماش [128]، ثم تتم العودة إلى الحاضر، حيث يتواصل النقاش حول الزيني في المقهى .

أخذت أحداث هذه الوحدة الترتيب التالي:

1. نزول زكريا إلى السجن المدفون تحت بيته (ح).
2. قلق زكريا و تصوره اقتحام المماليك سجنه (س).
3. قصة شعبان (ل).
4. اغتيال شعبان (ح).
5. تصور زكريا ماله بعد مقتل شعبان (س).
6. مصير الشبان الثلاثة الذين صاحبوا شعبان (ل).
7. اطمئنان زكريا بعد مقتل شعبان (ح).
8. الرشوة التي دفعها الزيني للحصول على منصب الحسبة (ل).
9. عزم زكريا على تدوين معلومات حول الزيني (ح).
10. ماضي الشيخ أبي السعود (ل).
11. انتقال أتباع الشيخ إلى كوم الجارح (ح).
12. ماضي علي بن أبي الجود (ل).
13. رغبة أتباع الشيخ في تولي الزيني منصب الحسبة (ح).
14. رغبة الرحالة في الانتقال إلى جامع الأزهر لسماع خطبة الزيني (س).

---

125 الرواية ص 50.ص 51
126 الرواية ص 53إلى 56
127 الرواية ص 54
128 الرواية الصفحة نفسها

15.الحديث عن الزيني في المقهى (ح).
16.لقاء الزيني بالشيخ أبي السعود (ل).
17.ماضي عمرو (ل).
18.تصورات عمرو المتعلقة بمستقبله و بأمه (س).
19.تتبادل الشخصيات أطراف الحديث حول الزيني في المقهى (ح).

إن هذه الوحدة متعلقة بالوحدة التي سبقتها (الاعتقال)، إذ وردت فيها سابقة داخلية متممة تتعلق بتساؤل العامة عن الشخص الذي سيخلف علي بن أبي الجود، لتأتي الإجابة عنه في هذه الوحدة (تعيين الزيني بركات خلفا لعلي)، لكن السؤال يظل قائما، إذ تتساءل العامة - هذه المرة عن شخصية هذا الخلف، و جاء هذا التساؤل على شكل سابقة داخلية متممة، و ستتحقق لاحقا إذ سنتعرف على هذه الشخصية .

تخضع أحداث هذه الوحدة للتسلسل الزمني، إذ أعلن السارد في البداية عن تعيين الزيني واليا للحسبة بعد اعتقال علي، ثم سرد أحداثا تتعلق بهذا التعيين على لسان زكريا في أول الليل الذي يلي قرار التعيين، ليأتي رفض الزيني لهذا المنصب، لكن السارد لم يتبع هذا الترتيب إلى آخر الوحدة، إذ وردت مفارقة زمنية تتمثل في سابقة داخلية متممة تتعلق بخطبة الزيني، و جاءت لتسد ثغرة زمنية لاحقة، إذ سيتم التعرض لتفاصيل هذه الخطبة في الوحدة التالية .

الوحدة الرابعة: الخطبة .

تنطلق أحداث هذه الوحدة في الحاضر الذي يؤطرها كسائر الوحدات السابقة، و الذي يتمثل في أول نهار الأربعاء عاشر شوال، و فيه ينتظر زكريا بن راضي مبروك ليوافيه بأخبار خطبة الزيني التي جرت في نهار ذلك اليوم، و لم يكن ورودها في وحدة التعيين كسابقة إلا للإعلان عنها فقط .

و وردت مفارقات عديدة ضمن هذا الحاضر، منها : اللاحقة الداخلية المتممة التي تتعلق بتسلم زكريا تقريرا في صباح الأربعاء نفسه، يخص حركة الزيني، و "كيف انتقل من بيته أول الفجر بصحبة طالب أزهري إلى كوم الجارح"[129]، و استغرقت هذه اللاحقة حوالي تسعة أسطر، و جاءت لتسد ثغرة خلفها السرد سابقا، و هي مركبة تضمنت سابقة داخلية تخص الخطبة التي سيعلنها الزيني على الخل.[130]

و تليها لاحقة خارجية جزئية استغرقت خمسة أسطر، يرحل بنا السارد بواسطتها- إلى عصر الشهاب جعفر كبير بصاصي الأشرف قايتباي، و يخبرنا عن طريقة نشر المنادين للأخبار وقتئذ، ثم يخبرنا عن - زكريا في بداية النهار، و في الليلة التي سبقته، كما يستذكر الرسالة التي بعثها زكريا إلى

129 الرواية ص 59
130 الرواية الصفحة نفسها

مقدم بصاصي القاهرة - قبيل الفجر - يأمره فيها بجمع معلومات حول الزيني، و معلومات أخرى حول العامة، كما طلب منه رفع عدد النقادير المرسلة إليه [131] و شغلت هاتان اللاحقتان الداخليتان المتممتان حوالي ثمانية أسطر، و جاءنا لسد ثغرات تم القفز عليها زمنيا .

يتساءل زكريا عما سيأتيه الزيني من أفعال و أقوال" :ما الذي ينويه الزيني بركات ؟؟ ما الذي سيقوله للعامة، بأي لسان يتحدث ؟؟ هل هناك سابقة لما سيفعله ؟؟" [132]، و ستتحقق هذه السابقة الداخلية المتممة باطلاع زكريا على اللفافة التي تحوي تفاصيل الخطبة .

و استعان السارد باللاحقة الداخلية المتممة التي استغرقت صفحة من السرد، ليخبرنا عن أحداث لم يسردها في أوانها، فيطلعنا عن خروج زكريا رفقة أحد أعوانه في أول النهار لحضور خطبة الزيني، و ردة فعله عند رؤيته جموع الناس تستمع إلى هذه الخطبة، فقد أثارت تلك الجموع دهشته و جعلته يتساءل" : كيف يسكت السلطان ؟ أيدرون العاقبة من تجمع هؤلاء ؟ ما يجري فظيع، لا بد من تنبيه الكبار و السلطان نفسه، السكوت على الأمر ربما أدى إلى استفحاله، انتشاره"[133]، و ستتحقق هذه السابقة الداخلية المتممة لاحقا، بمحاولة زكريا الإيقاع بين السلطان و الأمراء، و بينهم و بين الزيني .

يتسلم زكريا اللفافة التي أتاه بها مبروك، و التي تتضمن ما جاء في خطبة الزيني :

1- رفض الزيني لمنصب الحسبة، و تدخل الشيخ أبي السعود من أجل إقناعه بقبول هذا المنصب .

2- خوف الزيني من تفشي الظلم كان سببا في رفضه للمنصب .

3- تولي الزيني منصب نظارة حسبة الجيزة إضافة إلى منصب حسبة القاهرة، و لهذا فهو لن يمكث بالقاهرة، إنما سيلف الوجهين ظاهرا أحيانا و متخفيا أحيانا أخرى، يطلع على أحوال الناس، و سيقتص من كل ظالم على مرأى الجميع [134]، و ستتحقق هذه السابقة الداخلية المتممة في الوحدة الثامنة (حادثة السقاء).

4- تعيين الزيني عساسين لمحاربة الظلم، و من أجل هذا "ستكون له عيون يرصدون و يتحسسون المظالم أينما تقع و يبلغونه بها"[135]، و ستتحقق هذه السابقة -كذلك- في الوحدة الثامنة.

و سجل مبروك بعض الملاحظات في آخر اللفافة، وتتمثل في :

1- بقاء سعيد الجهيني قرب الزيني طوال الركب.[136]

2- ظهور امرأة متقدمة في السن أمام موكب الزيني، و هتافها:" يا لئيم يا ابن اللئيمة **(2)** "و محاولة تحري حقيقتها .

---

131 الرواية ص 60
132 الرواية الصفحة نفسها
133 الرواية ص 61
134 الرواية ص 62
135 الرواية الصفحة نفسها
136 الرواية ص 63

3- طالبة أحد البصاصين برسم صورة دقيقة لملامح الزيني، و هنا وردت سابقة داخلية متممة تتعلق بهذه الصورة التي لم تكتمل بعد، و التي سينقلها مبروك إلى زكريا فور اكتمالها.[137]

وقد جاء الإخبار عن مضمون هذه الخطبة على شكل لاحقة داخلية متممة، سدت الثغرة التي خلفها السرد وراءه، و هي مزدوجة إذ تضمنت سوابق كثيرة .

و تتم العودة إلى الحاضر للحديث عن زكريا و قصة زواجه من وسيلة، و جاء الإخبار عن هذا الأمر في قالب لاحقة داخلية ممتدة في الحاضر، وهي مكررة لأننا سنتعرف على وسيلة لاحقا، و قد استغرقت خمسة أسطر. و يتخلل هذا الحاضر سابقة داخلية متممة تتمثل في تصور زكريا ردة فعل الخلفاء حين يعلمون بصنيعه (جمعه لمعلومات حول الزيني).[138]

ثم يدرج السارد لاحقتين شغلتا سطرين، أولهما داخلية متممة، تتمثل في إرسال زكريا في طلب شهاب الحلبي" :منذ قليل أرسل في طلب شهاب الحلبي" [139]، الذي سيأتيه بالقلم و الحبر الذي يجف بعد مدة معينة، و ثانيهما خارجية جزئية، أطلعنا السارد - من خلالها على معلومة ضرورية تخدم سرده، و تتعلق بالرسالة التي أطاحت برأس كبير البصاصين في زمن السلطان فرج بن برقوق، و وردت إلى جانبهما سابقة خارجية تتمثل في رغبة زكريا دو هو يفكر في المداد الذي يختفي و يتلاشى بعد بلوغ المراد من الرسالة- في مراسلة الأمراء بهذا المداد، لكن زمنه لم يأت بعد[140]. و هذه السابقة مرتبطة باللاحقة التي وردت سابقا .

يعقب هذه المفارقات السردية وصف لحالة زكريا، فهو مغتاظ -الآن- بسبب عدم حصوله على معلومات كافية عن الزيني، و هذا ما جعله يفكر في تكليف شهاب الحلبي بكتابة رسالة إلى الزيني ليلة الأربعاء عاشر شوال، و ستصل في الليلة نفسها الخطابات الأخرى إلى الأمراء[141].

كما يدرج السارد سابقتين داخليتين متممتين، تتعلق الأولى بتساؤل زكريا عن مصيره إذ ما سافر إلى الهند للاطلاع على نظام البصاصين فيها، أو كلف أحد نوابه المقربين إليه بهذه المهمة، و تتعلق الثانية باستقصاء أمور تخص الزيني و المرأة البدينة التي تصيح في وجهه ، و سعيد الجهيني [142]، و ستتحقق هذه السوابق في الوحدات التالية .

تنتهي هذه الوحدة برسالة وجهها زكريا إلى الزيني بركات، يذكر فيها رغبته في إحلال السلام بالبلاد،

---

137 الرواية ص 64
138 الرواية الصفحة نفسها
139 الرواية الصفحة نفسها
140 الرواية ص 64. ص 65
141 الرواية ص 65
142 الرواية الصفحة نفسها

و ضرورة التعاون بينهما من أجل تحقيق ذلك[143] ، و رسالة أخرى وجهها إلى السلطان و الأمراء يشتكي فيها تصرفات الزيني، و يطلب من السلطان النظر في أمره[144] و يؤطر الحاضر هاتين الرسالتين، إذ كتبتا في ليلة العاشر من شوال (حاضر إنجاز الخطاب).

و تضمنت الرسالة الأولى سابقة داخلية متممة استغرقت ستة أسطر، تتمثل في طلب زكريا من الزيني إرسال مطلب مفصل إليه كل ليلة، يحمل ما ضبطه من مخالفات، و معاقبة مرتكبيها، و ضرورة مراجعة ما سيقوله المنادون، و هذه الأمور سوف تكون محل نقاش ف ي أول لقاء سيتم بينهما .

و وردت في الرسالة الثانية لاحقة داخلية متممة سدت ثغرة قفز عليها السارد، و تتمثل في تذكر زكريا أفعال الزيني (خطبته للعامة، إطلاقه للمنادين، تلويحه بقرب إنشائه فرقة خاصة من البصاصين يشرف عليها بنفسه، إعجاب العامة به، و انتقادهم لباقي الأمراء)، و تتسع هذه اللاحقة لتشغل حوالي صفحة .

لقد جاء ترتيب الأحداث في هذه الوحدة كالتالي:

1- انتظار زكريا اللفافة (ح).

2- تسلم زكريا تقريرا يخص الزيني (ل)

3- الخطبة التي سيعلنها الزيني على الخلق (س).

4- طريقة نشر المنادين للأخبار في عصر الشهابي جعفر (ل).

5- رسالة زكريا إلى مقدم البصاصين (ل).

6- تساؤلات زكريا عن الزيني (س).

7- خروج زكريا لحضور خطبة الزيني (ل).

8- تساؤلات زكريا عن ردة فعل السلطان و الأمراء من خطبة الزيني (س).

9- تسلم زكريا اللفافة (ح)

10- مضمون الخطبة (ل).

11- قصة زواج زكريا من وسيلة (ل).

12- تصور زكريا ردة فعل الخلفاء حين يعلمون يجمعه معلومات حول الزيني (س)

13- إرسال زكريا في طلب شهاب الحلبي (ل).

---

143 الرواية ص 67.ص 68

144 الرواية ص 69.ص 70

14- الرسالة التي أطاحت برأس كبير البصاصين في زمن فرج بن برقوق (ل).

15- رغبة زكريا في مراسلة الأمراء بالمداد الذي يجف بعد مدة (س)

16- وصف حالة زكريا (ح).

17- تساؤلات زكريا عن مصيره إذ ما سافر إلى الهند (س)

18- استقصاء أمور تخص الزيني و المرأة البدينة و سعيد (س)

19- رسائل زكريا إلى الزيني و الأمراء (ح).

تخضع الوحدات **:**الثانية. ثالثة و الرابعة (الاعتقال، التعيين و الخطبة) للترتيب، و إن كان الحديث عن الخطبة قد جاء في الوحدة الثالثة (التعيين) كسابقة، فإنها وردت في حاضر إنجازها كلاحقة، نلتمس من خلالها جوابا مؤقتا للسؤال الذي طرح في الوحدة الثالثة: من هو الزيني بركات؟

الوحدة الخامسة : الزيني حاكما

تبدأ هذه الوحدة بنداء، نتبين من خلاله مباشرة الزيني لمهامه كحاكم، على خلاف ما وجدناه في الوحدة الثالثة (التعيين)، ففيها كان الزيني حديث العهد بمنصب الحسبة، إذ تم تعيينه في الثامن شوال، لكنه لم يباشر أعماله بعد، و كأن الحدث الرئيسي في وحدة التعيين هو فعل التعيين نفسه، بينما نجد في هذه الوحدة الزيني حاكما، يمارس مهمة الحسبة بصورة طبيعية ، و يدل على ذلك ما ورد في النداء: "أمر مولانا السلطان بتسليم المجرم بن المجرم علي بن أبي الجود إلى ناظر الحسبة الشريفة الزيني بركات بن موسى ليتولى أمره... "[145]

و الملاحظ في بداية هذه الوحدة انعدام أي مؤشر زمني يحيل على زمن النداء، ولا على زمن الأحداث الخاصة بسعيد الجهيني، بينما أرخت الأحداث المتعلقة بزكريا بن راضي في صباح الثلاثاء سابع ذي القعدة من سنة (912هـ)، إلا أننا نلتمس وجود إشارة زمنية تتمثل في" عشرين يوما"، تؤهلنا لمعرفة زمن الأحداث الخاصة بسعيد : "سعيد خشي على الزيني، خاصة و أن علي بن أبي الجود، الذي تسلمه منادوه منذ عشرين يوما، لم يعلن المنادي خبرا عن اكتشافه المال المخبأ ..."[146]، كما نجد إشارة زمنية أخرى تتمثل في "الشهر"، وذلك في السرد المتعلق بأحداث تخص زكريا يقول السارد" **:**أمور كهذه

---

145 الرواية ص 72

146 الرواية ص 80

يجهلها الزيني، و إلا أين نتيجة تعذيبه السلفه علي بن أبي الجود ؟ تسلمه منادوه منذ شهر" .[147]

يتجلى لنا من خلال هاتين الإشارتين، و اعتبارا للثامن شوال، الذي استلم فيه الزيني علي بن أبي الجود، و للسابع ذي القعدة، و هو زمن الأحداث الخاصة بزكريا-حذف بين الزمنين استغرق عشرة أيام، أما بالنسبة للأحداث الخاصة بسعيد الجهيني، فلا ندري إنك ان الحاضر هو الذي يؤطرها، ومع ذلك، هناك بعض الإشارات الدالة على الحاضر مثل كلمة" اليوم"، و كلمة "الآن "في مثل قول السارد : "لماذا الآن، لماذا الآن" [148]، "لو أنها تنظر الآن"[149] "الآن لا يطيق البقاء في الرواق حتى الصباح" [150]، "الآن يذكر أسئلة الزيني .[151]"

و يمكن تحديد المفارقات السردية التي احتواها هذا السرد - انطلاقا من هذه الإشارات- و أولها اللاحقة الداخلية المتممة التي استغرقت ثلاثة أسطر، عاد فيها السارد سبعة شهور إلى الوراء و- بالتحديد إلى اليوم الثالث بعد عيد الفطر- حيث تم اللقاء بين سعيد الجهيني و حبيبته سماح .و نجد إلى جانبها لاحقة داخلية متممة أخرى شغلت (11) سطرا، عاد فيها السارد -هذه المرة عاما إلى الوراء، ليخبرنا عن رفض سعيد رغم إلحاح أصحابه التوجه إلى بيت أنس بيت الخطأ، بعد حصوله على المال مقابل نسخه كتابا في المنطق لأحد مشايخ الصعيد، و هذه اللاحقة مزدوجة، تضمنت سابقة داخلية، تتمثل في تساؤل السارد عن ردة فعل العامة في حالة سماعهم بارتياد سعيد بيت أنس .[152]

ثم يتصور سعيد نفسه في المستقبل البعيد- مع سماح، و هذه التصورات لا تتحقق لأنها أكبر مما كان يعيش فيه، و طموحه أكبر يمتد إلى ما هو أبعد، لذلك كان التصور(التنبؤ أو الحلم) رد فعل حالة يفرغ فيها رغباته و طموحاته .

و يدرج السارد لواحق داخلية قريبة من القصة، ليطلعنا في سطور- عن بعض الشخصيات العظيمة التي تعرف عليها الشيخ ريحان، فقد عرف الأمير ملكتمر، الذي أنصفه الشيخ على موسى بن اسحق عند اختلافهما في بعض أمور بيت المال، و ينكر الشيخ أن الأمير قد قبل يده، و عرف -كذلك- الأمير طشتمر، حين كان مملوكا ضعيفا قبل زواجه بخوندر زينب، كما يذكر مجيء الزيني و تفريقه لمماليك طشتمر، و قبضه على أربعة منهم، و إرسالهم إلى المقشرة [153]، و يعود السارد -ثانية- إلى سرد أمنية سعيد و رغبته في رؤية سماح حتى يقضي معها أحلى لحظات العمر: "لو أنها تنظر الآن، لو يراها

147 الرواية ص 93
148 الرواية ص 76
149 الرواية ص 78
150 الرواية ص 79
151 الرواية ص 81
152 الرواية ص 74
153 الرواية ص 76.ص 77

مقدار ساعة، يقضي و الله عمره متنقلا فوق مأذن الدنيا ... لكنها أمل النجاة من دهر بأكمله" [154]، و هذه السابقة الداخلية مكررة استغرقت (11) سطرا.

ثم يسرد حادثة تذكرنا بحادثة العطار، وتتعلق بخياط عظيم الشأن اعتدى على غلام صغير، فأشهره الزيني على حمار في القاهرة كلها، وسجنه بالعرقانة، وأنكر الزيني - بشدة أن تحدث الفاحشة في زمنه، خاصة بعد أن أخبره بعض المشايخ أن الاعتداء على الأطفال يحدث يوميا، فقال" :لن تحدث فاحشة في زماني أبدا، أنا لا أخشى إلا هو، أشار بأصبعه إلى السماء "[155]،

ثم زعق في وجوههم" :كيف تلقون ربكم يوم القيامة"[156]، و اتسعت هذه المفارقة لتشغل صفحة من السرد، و هي مزدوجة إذ تضمنت اللاحقة الداخلية سابقة خارجية .

وردت -بعد هذه المفارقة- لاحقة داخلية متممة تخص ذهاب سعيد بأمر من مولاه الشيخ إلى الزيني بركات، و توجههما إلى كوم الجارح، و تبادلهما أطراف الحديث -في طريقهما- فحدث سعيد الزيني عن مجيئه من البلدة، و التقائه بالشيخ أبي السعود، و تردده عليه، و أخذه العلم عنه، و بقائه عنده طوال الوقت [157]، و أتسعت، هذه اللاحقة لتشغل حوالي نصف صفحة، و جاءت لتسد ثغرة تركها السرد خلفه .

ينتهي هذا السرد باقتراب سعيد من حارة قصر الشوق، إذ يرى رجلا مسرعا فيظنه الزيني بركات.[158]

يلي هذا السرد نداء يتعلق بخروج السلطان إلى الريدانية، و استمرار القطيعة بين الأمير طشتمر و خايربك، و معاقبة الزيني للعطار صابر بن الحمزاوي، الذي باع الحلبة مخلوطة بالتراب الناعم، و يؤطر الحاضر هذا النداء، و نتبين انطلاقا منه- وجود سابقة داخلية متممة سدت ثغرة زمنية لاحقة واستغرقت أربعة أسطر، و تتعلق بالغرامة التي سيدفعها هذا العطار، و الحوطة على مخزونه من السقنقور و توزيعه على العطارين لينتفع به الخلق، و تسعيره بثلاثة دراهم للواحد .[159]

يبدأ السرد المتعلق بأحداث تخص زكريا بن راضي بالحاضر، و فيه يتأمل زكريا ابنه "ليس"، و يداعبه على مرأى من زوجته التي كانت تحكي له أخبار أبنهما، هذا الابن الذي جعلها تتباهى و تعلو على بقية حريم زكريا اللاتي لم ينجب منهن، و الذي جعلها تتقرب منه.[160]

و يتضمن هذا السرد مفارقات زمنية عديدة منها : اللاحقة الداخلية التي يعود فيها السارد شهورا إلى

---

154 الرواية ص 78
155 الرواية ص 80
156 الرواية الصفحة نفسها
157 الرواية ص 81
158 الرواية الصفحة نفسها
159 الرواية ص 85
160 الرواية ص 82.ص 83

الوراء، ليسرد في حوالي صفحة- حادثة التاجر الرومي الذي ضبط يراسل ابن عثمان بأخبار الدولة، و تمتد هذه اللاحقة إلى الحاضر الذي يبين فيه عقاب زكريا لهذا التاجر، إذ "أمسك بسيخ طويل كالإبرة محمي ببطء، على مهل راح يدفعه في بطن الرومي حول سرته "[161]، و يتجه بعد الانتهاء من هذه العملية إلى غرفة زوجته "زينب "ليسأل - عن ابنه، فيجده نائما، ثم ينتقل إلى حوش البيت ليتأمل زهور الحديقة، أين يشهد إطلالة إحداها على العالم، كما يتأمل عصافيره الغريبة المسجونة في الأقفاص، و يطرح أسئلة غريبة بشأنها: "أهذه العصفورة بعينها هي التي جاءت في العام المنقضي، كم تعيش إذا لم تغتلها يد صياد؟ تموت موتا طبيعيا، أمثل هذه المخلوقات يموت ؟..[162] "، فزكريا يكثر من تأمل هذه العصافير و من مداعبة يس، و لولا هذا لطق له عرق من الغضب، يسبب الزيني الذي لم يرد على رسالته، خاصة بعدما استوثق من وصولها إليه، و تأسف لأن مقدم البصاصين لم يتمكن من دفع أحد بصاصيه إلى بيت الزيني لينقل إليهم أخباره، بل اهتم باطلاق عيون في أثر المرأة البدينة التي تظهر أمام موكب الزيني، و تزعق في وجهه "يا لئيم يا ابن اللئيمة"، ثم تختفي.[163] و استذكر- السارد - في هذا الموضع ما ذكره رجل عجوز بشأنها، يقول: "هذه المرأة تذهب إلى الزيني بركات بن موسى، تعانقه، يتبادلان البكاء، تحتضن رأسه بين يديها، تناجيه بأرق الألفاظ، ثم تخبره بالأمور المقبلة القادمة و كل ما يحدث له و ما يدبر ضده" .[164] كما ذكر احتمال وجود علاقة خفية بين الزيني و عالم الجن، و هنا تتحقق السابقة التي وردت في الوحدة الرابعة والمتعلقة بقرار جمع معلومات حول هذه المرأة، و إن كان الإخبار عن هذا الأمر قد جاء هنا على شكل لاحقة داخلية متممة، فسدت بذلك ثغرة زمنية خلفها السرد، و اتسعت لتشغل حوالي ثمانية أسطر .

و تتم العودة إلى الحاضر لسرد معاناة زكريا ثانية بسبب تأخر جواب الزيني، و هنا يستذكر السارد سؤال شهاب الحلبي عن هذا الجواب، ذلك السؤال الذي أثار غضب زكريا، و جعله يعاتبه، و يقول له: "منذ متى تسأل عن خطاب كلفتك بكتابته ؟ أهذا ما علمته لكم ؟ أتعرفون عاقبة الثرثرة الكاذبة ؟ عاقبة الفضول، الكلمة التي تخطها يجب أن تنساها "[165] ، وهذا ما أثار خوف شهاب الحلبي، خاصة و أن زكريا ذكره- كالعادة -بقصة نائب كبير البصاصين العثماني، الذي انكشفت صلته الوثيقة بدولة الشاه إسماعيل الصوفي ألد أعداء الخنكار- وهاتان اللاحقتان مختلفتان، فأولهما داخلية متممة، و ثانيهما خارجية جزئية أفادتنا بمعلومة تخدم الفكرة التي عرضها السارد، و قد شغلنا ما يقرب الصفحة .

---

161 الرواية ص 86
162 الرواية ص87
163 الرواية ص 87.ص 88
164 الرواية ص 88
165 الرواية الصفحة نفسها

شخص السارد- في خمسة أسطر- حالة زكريا ليلة وصول تقرير يؤكد استمرار الزيني في إنشاء فرقة بصاصين خاصة به، هذا الأمر أقلق زكريا كثيرا، و جعله يتصور أمورا لا يحمد عقباها ف" ربما تسرب أحد إلى بيته إلى ديوان السر[166] "، و هذه المفارقة مركبة، إذ تضمنت اللاحقة الداخلية المتممة سابقة داخلية، ستتحقق في الوحدات التالية باكتشاف زكريا أمر وسيلة الخائنة التي دسها عليه الزيني .

فكر زكريا -من أجل الحسم في أمر الزيني- في رصد حركاته و الكيد له، فاستدعى كبير الشعراء و المغنيين في مصر إبراهيم بن السكر و الليمون)، و "طلب منه إعداد حكاية تروي على الربابة عن رجل لا أصل له و لا فصل، نزل عليه الجاه فجأة، فادعى أنه سينشر العدل بين الناس" [167]، و طلب منه أن ينشدها أربعة منشدين في دكاكين مختلفة ليلة الثلاثاء سابع من ذي القعدة، لتنشر بعد يومين في عشرة دكاكين، و هكذا تصبح هذه الحكاية بعد أسبوع محل حديث العامة، وقد جاء هذا الطلب على شكل سابقة داخلية متممة سدت مسبقا ثغرة زمنية لاحقة .

لقد أحس زكريا بنوع من النشاط بسبب هذا القرار الذي اتخذه و اتجه - بعد انصراف ابن السكر و الليمون- لمداعبة يس، و فجأة تذكر أمرا مهما، فغادر بسرعة غرفة زوجته ليستدعي المعلم أبن كيفه، و قد قدمه السارد في بضعة أسطر، يقول إنه "مدمن على الحشيش، محب النكاح، و لسانه طويل، إنسان بدين و صوته كالنعير..."[168] ، و ذكر قصته مع زوجته الثانية، ورغبته في تطليقها، و هذه اللاحقة داخلية قريبة من القصة، جاءت لإضاءة بعض جوانب حياة هذه الشخصية، ثم ذكر معرفة زكريا بأدق الأمور التي تخص رغبة المعلم في تطليق زوجته، يقول زكريا: "... أنت لا تعطيها حقها كما يجب، زوجتك الصغيرة أخذت وقتك كله .. لا يا معلم، لا بد من العدل، العدل مطلوب هنا .. أخر مرة ذهبت إليها متى .. آه .. متى؟ أخبرك أنا، منذ شهرين وأسبوع"[169]، و يكلف زكريا ابن كيفه بإصدار شائعات و أقاويل على شكل حكايات شرط ألا يظهر قصده فيها، و جاء هذا الطلب على شكل سابقة داخلية متممة يختلي زكريا بنفسه بعد انصراف ابن كيفه- فيتساءل عن أمور بعينها تشغل فكره، كتساؤله عن عدد التقارير التي سترسل إليه، زمن الأفكار التي تشغل بال الزيني، و يتصور مجيء يوم تصل فيه البصاصة إلى قمتها، فيقارن وضعيتها -كما تصورها- بالوضعية التي كانت عليها في الماضي، إذ أن المذنب -وقتئذ- يضرب حتى الموت، أما الآن فكثرت أساليب العذاب و تنوعت، و صار موت المذنب آخر مطلب يتم تحقيقه، هذه الأساليب يجهلها الزيني- كما يعتقد زكريا- و إلا فما تفسير صمت علي بن

---

166 الرواية ص 89
167 الرواية ص 90
168 الرواية ص 91
169 الرواية الصفحة نفسها

أبي الجود، و عدم إدلائه بمكان وجود ماله، و قد أستلمه الزيني منذ شهر ؟ [170]، و يتصور زكريا بعد ذلك - موقفه لو أن الزيني عاداه وسانده السلطان في ذلك، و قد أتت هذه التساؤلات و التصورات على شكل سوابق داخلية .

و يدرج السارد قصة الشيخ الحموي التي لا يعلم بها الزيني و لا السلطان، هذا الشيخ الذي سجن زمنا طويلا، و التحق بكرسي السلطنة بعد خروجه من السجن، و ذلك بسبب كبير البصاصين. إضافة إلى هذه اللاحقة الخارجية الجزئية و التي استغرقت أربعة أسطر، هناك لاحقة داخلية مكررة جاءت للتذكير بقصة شعبان المغتال، الذي لم يقر بالعلاقة التي تربطه بالسلطان الغوري[171] ،و استغرقت هذه اللاحقة سطرين. ثم يعود إلى الحاضر، ليخبرنا بأن زكريا لم يكتف بالكيد للزيني ، إنما أراد أن يوقع كذلك بين الأمراء، و لتحقيق ذلك فكر في الحمام الزاجل، فتصور ردود أفعال الناس عندما يعلمون بأنهم خدعوا في الزيني، كما تصور غضب الأمراء بعضهم من بعض، و تسليط ك ل واحد منهم مماليكه على الآخر، و بهذا ستضطرب أحوال الناس[172] ، و ستتحقق هذه السابقة الداخلية المتممة لاحقا، إذ تتم الوقيعة بين مماليك طشتمر و خايربك، و ينتهي هذا السرد بالحاضر، إذ يهدأ زكريا و يتوقف عن الرواح و المجيء، و هكذا يمضي النهار وادعا .[173]

يلي هذا السرد خمس نداءات متتالية يؤطرها الحاضر، و جاءت للإخبار عن الأمور المقررة، و تم الإعلان عنها مساء يوم الثلاثاء سابع ذي القعدة، يتعلق الأول بإلغاء ضريبة الملح، و رفع احتكار الأمير طغلق لمختلف أنواع الخضر، و بيعها في السوق بلا وسيط حتى تنحط الأثمان، و يعلن الثاني عن قرار مشي المماليك دون لثام بعد المغرب في الطرقات، و عدم دخولهم الحارات بالسلاح بعد العشاء، أما الثالث فيعلن عن إبطال عادة نعي الموتى بحق الطارات، و معاقبة من يخالف هذا القرار، و ينص النداء الرابع على التوجه إلى الزيني بركات من أجل استرجاع حق كل من ظلم، أما الخامس فليس بنداء إنما هو عنوان رسالة بعثها الزيني إلى زكريا [174]، و تعلن هذه النداءات عن مباشرة الزيني لمهامه كحاكم، و تعطينا صورا عن عدله و إنصافه، وقد جاءت على شكل سوابق ستتحقق لاحقا .

إن الأحداث في هذه الوحدة خضعت الترتيب التالي:

1- اللقاء بين سعيد و سماح (ل).
2- رفض سعيد التوجه إلى بيت أنس (ل).
3- تساؤل السارد عن ردة فعل العامة حين سماعها بارتياد سعيد بيت أنس (س).

---

170 الرواية ص 92 ص 93
171 الرواية ص 94.ص 95
172 الرواية ص 95
173 الرواية ص 95.ص 96
174 الرواية ص 97 إلى ص 99

4- تصور سعيد بقاءه إلى جانب سماح (س).
5- ماضي الشيخ ريحان (ل).
6- تفريق الزيني لمماليك طشتمر (ل).
7- رغبة سعيد في رؤية سماح (س).
8- حادثة الخياط (ل).
9- تساؤل الزيني عن مصير الظالمين (س).
10- ذهاب سعيد إلى بيت الزيني (ل).
11- النداء (ح).
12- الغرامة التي سيدفعها العطار صابر بن الحمزاوي (س).
13- تأمل زكريا ابنه يس (ح).
14- حادثة التاجر الرومي (ل).
15- سؤال زكريا عن ابنه (ح).
16- أسئلة زكريا عن العصافير (س).
17- -ما قيل حول المرأة البدينة (ل).
18- معاناة زكريا (ح).
19- سؤال شهاب الحلبي عن جواب الزيني (ل
20- حالة زكريا ليلة وصول تقرير يؤكد استمرار الزيني في بناء فرقة بصاصين خاصة به (ح).
21- تصور زكريا أمورا خطيرة (س).
22- تفكير زكريا في رصد حركات الزيني (ح).
23- مداعبة زكريا ليس (ح).
24- ماضي ابن كيفه (ل).
25- -اختلاء زكريا بنفسه (ح).
26- تصورات زكريا للبصاصة (س).
27- قصة الشيخ الحموي (ل).
28- الإيقاع بين الأمراء (ح).
29- تصور زكريا ردة فعل العامة حين يعلمون بخداع الزيني لهم (س).
30- النداءات المختلفة، و حالة زكريا (ح).

الوحدة السادسة : زكريا نائبا / الفوانيس .

تختلف هذه الوحدة عن الوحدة السابقة من حيث الترابط، فالوحدة الخامسة غير مرتبطة بالوحدة الرابعة بسبب الحذف الموجود بينهما، بينما تلي الوحدة السادسة الوحدة الخامسة مباشرة، دون وجود للحذف، بمعنى آخر أن الوحدة انتهت زمنيا- في مساء الثلاثاء سابع ذي القعدة، و ابتدأت هذه الوحدة في ليلة الثلاثاء نفسه، و من هنا نلمس ارتباطا بين الوحدتين، إذ أن الحدث الرئيسي بدأ في الوحدة الخامسة، و يتواصل في هذه الوحدة، و يتمثل في مباشرة الزيني بركات أعماله كمحتسب، حيث أصدر قرارات تخص أمورا كثيرة جاءت على شكل نداءات، تضمنت الوحدة الخامسة بعضها، منها : تسليم على بن أبي الجود إلى الزيني ليفصل في قضيته، معاقبة الغشاشين من التجار، إلغاء ضريبة الملح، إبطال عادة دق الطارات على الموتى... و البعض الآخر نجده في هذه الوحدة، خاصة ما يتعلق بالفوانيس .

و تختلف هذه الوحدة – أيضا- عن سابقتها في كونها تضمنت مؤشرات زمنية كثيرة : ليلة الثلاثاء سابع ذي القعدة (912هـ)(*)، الجمعة عاشر ذي الحجة(912 هـ) ، آخر ذي القعدةو أول محرم913 هـ) و على هذا، فإن هذه الوحدة ضمت سنتي(912 هـ)و(913هـ).

يؤطر الحاضر هذه الوحدة التي تبتدي بنداء يعلن عن تعليق الفوانيس في الشوارع، وعن أمر السلطان باستمرار زكريا نائبا للزيني، و تضمن هذا النداء سابقة داخلية متممة تتعلق بهذه القوانيس التي ستعلق في شوارع القاهرة، و التي سيقوم رجال الزيني بإضاعتها كلى ليلة[175]، و أنت هذه السابقة لتسد مسبقا- ثغرة زمنية سيتم ملؤها لاحقا، و ذلك بتعليق رجال الزيني للفوانيس .

يلي هذا النداء، تقرير عمرو بن العدوى في وصف ما دار بين الناس، في ليلة الثلاثاء نفسه التي تمثل حاضر إنجاز الخطاب - و لخص عمرو هذه الأحداث فيما يلي :

1- الصفات الحميدة التي يتصف بها الزيني (العدل، كره الظلم...)، وهنا استحضر عمرو طلوع الزيني إلى السلطان، و خلوه به فترة طويلة، تحدث فيها عن احتكار شاربك للملح، و عن عواقب الظلم، و عن أموال السلطنة التي أصبحت البلاد في أمس الحاجة إليها، و سدت هذه اللاحقة الداخلية المتممة ثغرة زمنية قفز عليها السارد، و لم يدرجها في أوانها، و استغرقت صفحة من السرد، و هي مفارقة مركبة، إذ تضمنت هذه اللاحقة سابقة خارجية تتمثل في تساؤل السلطان عن

(*) وردت في الرواية (909 هـ)، و هو خطأ مطبعي، لأن قضية الفوانيس أثيرت عام (912ه)، و هو العام الذي تولى فيه الزيني منصب الحسبة.

[175] الرواية ص 100.ص 101

مصيره، و عن مصير الزيني يوم القيامة إذا ما ارتكبا ذنوبا في حق الخلق .[176]

2- شك فتوح الإسكندراني في نداءات الزيني، و شك أبو غزالة ف ي عدله، و وردت ضمنه سابقة داخلية متممة، إذ يقر فتوح الإسكندراني بأن الأمر لن يبق على حاله، و أن السلطان لن يسمح بذلك، " إلا إذا احتوى الأمر غرضا يتفق مع مصالحه[177]، و ستتحقق هذه السابقة لاحقا، إذ ينكشف أمر الزيني، و تعلم العامة بخيانته و ظلمه .

3- تساؤل الرجال عن مغزى منع الزيني النساء من دق الطارات على الموتى، وعن كثرة الحديث عن الفوانيس التي اعتبرها البعض بدعة لا يجب نشرها في أمة الإسلام، واعتبرها البعض الآخر مذهبة بالبركة، في حين رأى آخرون أنها تمنع المماليك من الهجوم على الحواري، و هنا تساءل أحدهم: هل ستمنع هذه الفوانيس فعلا -مثل هذا الهجوم؟، و هذه السابقة داخلية متممة. و رغم تشعب الآراء حول قضية الفوانيس، إلا أن رجال الزيني قاموا بتعليقها و إشعالها، و هل الجميع : "دامت الفوانيس" [178]، و بهذا تحققت السابقة المذكورة آنفا.

4- تعليق سعيد الجهيني على ما جاء في النداء الخاص بالفوانيس، إذ أنه يرى أن الغرض من هذا النداء و من النداءات الأخرى التي أشهرت هو شغل الخلق عن أخطر ما في الأمر ،والمتمثل في إقرار زكريا نائبا للزيني، و إعطاء الشرعية لوظائفه[179]، وقد جاء الإخبار عن هذا الأمر بواسطة اللاحقة الداخلية المتممة التي سدت ثغرة خلفها السرد، و قد شغلت ما يتعدى نصف صفحة .

5- سخرية بعض الشعراء و الخطباء من الفوانيس و الحط من قيمتها .[180]

يأتي بعد هذا التقرير نداء مؤرخ في العاشر من ذي الحجة، و يخص القطيعة المفاجئة التي حدثت بين الأمير بشتاك و الأمير طغلق[181]، و انطلاقا من هذا التاريخ، و تاريخ سابع ذي القعدة الذي يمثل تاريخ التقرير السابق نلتمس وجود فاصل زمني بين هذين التاريخين يتعدى الشهر، و هذه المدة محذوفة من زمن السرد .

و نلاحظ تحقق السابقة التي جاءت في الوحدة الخامسة، و المتعلقة بالرسائل التي بعث بها زكريا بن راضي بواسطة الحمام الزاجل - إلى الأمراء للإيقاع بينهم، إذ نخبر من خلال النداء- بوقوع " قطيعة مفاجئة بين الأمير بشتاك فول مقشر، و الأمير طغلق شادي العمائر، الآن البشتاك شنع على المئذنة

176 الرواية ص 102.ص 103
177 الرواية ص103
178 الرواية ص 103.ص 104
179 الرواية ص 104.ص 105
180 الرواية ص 105
181 الرواية ص 106

الجديدة في جامع السلطان".[182]

يلي هذا النداء سرد أحداث تخص سعيد الجهيني، و لا يتضمن هذا السرد أي مؤشر زمني يؤهلنا لمعرفة حاضر إنجازه، و لا نعرف إن كانت هذه الأحداث قد وقعت في اليوم العاشر من ذي الحجة (و هو تاريخ النداء الذي جاء قبله مباشرة)، أم أنها وقعت في آخر ذي القعدة، باعتبار أن الخطبة التي جاءت بعد هذا السرد مؤرخة بهذا التاريخ، لكنه احتوى بعض المفارقات منها: اللاحقة الداخلية المتممة، التي رجع فيها السارد إلى اليوم الذي خطب فيه الزيني العامة[183]، و استغرقت ما يقرب ثمانية أسطر .

تساءل السارد عن السبب الذي دفع عمرو بن العدوى إلى نقل كل كبيرة و صغيرة إلى زكريا، ثم انتقل إلى الحديث عن الفوانيس التي لم يحسم بعد في أمرها، و عن أمنية سعيد في رؤية سماح، يقول: "لو يمضي إلى سماح ينزع خمارها، يضمها كنزا غاليا و طلمسا و شعرا لم ينشد مثله، و جنة ضائعة"[184]، و جاءت هذه الأمنيات على شكل سابقة داخلية مكررة، إذ س بق سردها في الوحدات السابقة .

ثم استذكر قصة منصور صاحب سعيد- مع البنت راوية في بيت أنس [185]، و شغلت هذه اللاحقة الداخلية المتممة سطرين من السرد، و سدت ثغرة تم القفز عليها زمنيا .

يعتبر النداء المؤرخ في العاشر من ذي الحجة سابقة داخلية، و قد سدت مسبقا ثغرة زمنية، إذ تعرض السارد للآراء التي قيلت حول الفوانيس من خلال خطبة بعض الوعاظ الذين أعلنوا رفضهم لها، لأنها هتك للأسرار، و تشجيع النساء على الخروج بعد العشاء، كما أنها علامة من علامات آخر الزمن **186**، أما قاضي قضاة مصر، فإنه يرى أنها تذهب بالبركة من بين الناس[187] .

يسجل زمنيا- الانتقال من آخر ذي القعدة (912 هـ) إلى أول محرم (913 هـ)، ليدرج السارد رأي قاضي الحنفية الذي أيد فكرة الفوانيس، لأنها تطرد الشياطين، و تنير المسالك في الليل للغرباء، و تمنع مماليك الأمراء و المنسر من الهجوم ليلا على الخلق الأبرياء**188** ، إلى جانب هذا اعتبر كافة الأمراء هذا الفعل حقا[189] .

وفي مقابل هذه الآراء، هناك آراء تقف موقفا مضادا من تعليق الفوانيس، و هي : رأي قاضي القضاة بالديار المصرية الذي اعتبر هذا الأمر مخالفا للأصول، و نفيا للفروع، وهي تشجع -في نظر خايربك- الحريم على الخروج بعد العشاء، و هذا مخالف للحشمة وخادش للحياء، و ذكر قوصون أن الأطفال

---

182 الرواية الصفحة السابقة
183 الرواية ص 108
184 الرواية ص 109
185 الرواية الصفحة نفسها
186 الرواية ص 110.ص 111
187 الرواية ص 111
188 الرواية الصفحة نفسها
189 الرواية ص 113

يبقون في الشوارع ساعات طوال، يقومون برجم المماليك، ويتبادلون قبيح الألفاظ، و ذهب طغلق إلى أن "مثل هذا الأمر لا يبتدعه إلا إنسان يبغي نشر الفتنة ... والفجور" [190]، و اعتبرها قنبك أمر جارح للهيئة ومهين للسلطة، وذكر طشتمر أن نية رجال الزيني ليست إنارة الفوانيس وتنظيفها، إنما التجسس على الخلق[191] ، بينما علق ق اضي القضاة عبد البر على رأي قاضي الحنفية، واعتبر مساندته لفكرة الفوانيس حدثا مهولا.[192]

يناقش بعض المجاورين الموضوع نفسه، فيستحسنه البعض، و من بينهم سعيد الجهني، بينما يستهجنه البعض الآخر، و من بينهم منصور- صاحب سعيد- و رغم تباين الآراء حول الفوانيس، إلا أن الناس أجمعوا في الأخير على أنها لا تجدي نفعا، فهتفوا بصوت واحد :"لعن الله الفوانيس".[193]

يخبرنا السارد- بعد حادثة الفوانيس- عن انتقال سعيد بعد الفجر إلى بيت الزيني لمقابلته، و هناك سأل عنه، فطلب منه البواب الانتظار، و أثناء هذه الفترة تصور سعيد نفسه مع الزيني، يفتح له قلبه، و يبوح له الزيني بدوره- بكل ما يضايقه، وجاء هذا التصور على شكل سابقة داخلية متممة سدت مسبقا ثغرة زمنية، إذ سيلتقي به لاحقا و سيتبادلان الحديث حول أمور كثيرة. و يتذكر في سطر واحد- تلك الليلة البعيدة التي صاحب فيها الزيني إلى كوم الجرح، وهذه اللاحقة داخلية متممة، سدت ثغرة خلفها السرد وراءه، إذ لم يخبرنا السارد بمصاحبة الزيني لسعيد إلى كوم الجارح في أوانها، إنما أخبرنا بها بعد وقوعها. و يعود البواب ليعلم سعيدا بأن الزيني غير موجود، و يخبره بعد سؤاله عن مكان الزيني- بالوقيعة التي حدثت بين مماليك طشتمر و خايربك، و انتهاز بعضهم الفرصة لنهب الدكاكين الموجودة في حارة الجوانية، و هذا ما جعل الزيني يقصد المكان لإحصاء ما نهب من أموال، وما ألحق بالناس من أضرار[194]. كما يخبره عن سبب هذه الوقيعة، فقد اتفق الأميران على ضرورة التخلص من الفوانيس، لكن خايربك -بعد ذلك أقر باستحالة الاتفاق مع طشتمر، و هذا ما أثار غضبسه فزعق: "أيحقرني، والله لأقلبنها فوق رأسه [195]،وقد جاء الإخبار عن هذه الأمور بواسطة اللاحقة الداخلية المتممة، حيث عرفنا السارد بهذه الوقيعة و بأسبابها بعد حدوثها، و بذلك س د الثغرة التي خلفها في سرده، و استدركها في هذا الموضع، وقد استغرقت هذه اللاحقة ستة أسطر .

وعندما تعالت ضجة الفلاحين المتواجدين بالقرب من بيت الزيني، راح سعيد بذاكرته إلى قريته

---

190 الرواية ص 112
191 الرواية الصفحة نفسها
192 الرواية ص 113
193 الرواية ص 114
194 الرواية ص 115.ص 116
195 الرواية ص 116

البعيدة، ليستذكر حالة أطفالها، فيحمد الله على أنه لم يخلق فلاحا، و أفادت هذه اللاحقة الخارجية الجزئية المسرود له بمعلومة ضرورية تخدم الفكرة المعروضة، رغم أنها خارجة عن زمن الحكي الأول .

و يدرج السارد لاحقة داخلية متممة استغرقت عشرة أسطر، يخبرنا من خلالها بقصة برهان الدين، و احتكاره للفول، و هذا هو الموضوع الذي أراد سعيد مناقشته مع الزيني، وقد تساءل إن كان هذا الأمر يقلق الزيني فعلا[196]. وستجيب أفعال الزيني و تصرفاته عن هذا السؤال، و ستتحقق هذه السابقة الداخلية المتممة، و يتيقن سعيد من عدم اهتمام الزيني بهذا الأمر .

ينتهي هذا السرد بتوجه سعيد إلى دكان حمزة بن العيد الصغير أين يتصور -ثانية- ما سيقوله للزيني لو التقى به مساء[197].

يلي هذا السرد مرسومان سلطانيان، يقضي أولهما بعزل قاضي الحنفية الشيخ سعيد بن السكيت عن منصبه، و أيده في ذلك قاضي قضاة مصر[198] ، و يتعلق الثاني بإبطال عادة الفوانيس، و قد أيد أمراء الديار المصرية و أكابرها هذا القرار[199].

و استحضر السارد ما ذكره الشيخ أبو السعود لسعيد من أن الزيني زاره في بيته [200] واستغرقت هذه اللاحقة الداخلية المتممة سطرين، و بهذا سدت الثغرة المخلفة في السرد. وتذكر سعيد -بسبب ما قاله الشيخ- مصاحبته للزيني إلى كوم الجارح[201]، وهذه اللاحقة داخلية مكررة، سبق و أن ذكرها السارد، و استغرقت سطرين .

و يبدي سعيد موقفه من الزيني، فيخبر الشيخ بأنه أصبح يشك فيه و يتضرر منه بسبب ما صدر عنه، و هنا يتذكر قصة برهان الدين محتكر الفول، فقد اشتكى أمره إلى الزيني خ لال زياراته المتكررة له، لكن الزيني لم يهتم بهذا الأمر، و كان يحدثه عن أمور أخرى تخص القوانيس، و ضيقه بمنصب الحسبة، و قلة المال بين يديه، ووعده بتكليف زكريا بمراقبة برهان الدين، لكنه لم يف بوعده، لهذا قصده سعيد مرة أخرى، لكن دون جدوى، وجاءت هذه القضايا على شكل لواحق داخلية متممة، كشف سعيد من خلالها عن بعض جوانب حياة الزيني، مثل عمله كتاجر، حبه للعدل و إحداثه الفوانيس [202]، و هنا تتحقق السابقة التي وردت آنفا، و يتيقن سعيد فعلا من عدم اهتمام الزيني بأمر برهان الدين محتكر الفول .

ثم تتم العودة إلى الحاضر، و فيه يبث سعيد للشيخ خوفه من عمر بن العدوى، و يتساءل عن

---

196 الرواية ص 116.ص 117
197 الرواية ص 117
198 الرواية الصفحة نفسها
199 الرواية ص 118
200 الرواية ص 119
201 الرواية ص 120
202 الرواية ص 120.ص 121

مصيره لو أن عمرو رصد حركاته، و خطها في أوراقه، و هذه السابقة الداخلية المتممة ستتحقق لاحقا، إذ سيرصد عمرو حركات سعيد بتكليف من مقدم بصاصي القاهرة، كما يبث سعيد لمولاه عذابه بسبب حالة عيال بلدته، فيحمد الله على أنه لم يخلق فلاحا[203] ، و جاءت هذه اللاحقة الداخلية المكررة لغرض التذكير، و استغرقت ثلاثة أسطر، و يؤطر الحاضر هذه اللواحق، فكلما استحضر سعيد قضية معينة، أبدى موقفه الراهن منها، و استغرقت هذه اللاحقة ما يقرب الصفحتين .

وردت أحداث هذه الوحدة وفق الترتيب التالي:

1. النداء (ح).
2. الفوانيس التي ستعلق في القاهرة (س).
3. تقرير عمرو بن العدوى (ح).
4. النداء (ح).
5. خطبة الزيني (ل).
6. تساؤلات السارد عن سبب نقل عمرو كل الحركات إلى زكريا (س).
7. أمنية سعيد في رؤية سماح (س).
8. قصة منصور (ل).
9. و انتقال سعيد إلى بيت الزيني (ل).
10. تصور سعيد نفسه مع الزيني (س).
11. تذكر سعيد الليلة التي صاحب فيها الزيني (ل).
12. الوقيعة التي حدثت بين مماليك طشتمر و خايربك (ل).
13. ضجة الفلاحين المتواجدين بالقرب من بيت الزيني (ح).
14. حالة أطفال قرية عمرو (ل).
15. قصة برهان الدين (ل).
16. تساؤل سعيد عما إذا كان الزيني مهتما بقضية برهان الدين (س).
17. توجه سعيد إلى دكان حمزة (ح).
18. تصور سعيد ما سيقوله للزيني (س).
19. النقاش الذي دار بين سعيد و الشيخ أبي السعود (ح).
20. زيارة الزيني للشيخ أبي السعود (ل).
21. مصاحبة سعيد للزيني (ل).

---

[203] الرواية ص 121

22. قصة برهان الدين (ل).
23. بث سعيد خوفه من عمرو للشيخ (ح).
24. تساؤل سعيد عن مصيره (س).
25. بث سعيد عذابه للشيخ (ح).

تمتد أحداث هذه الوحدة زمنيا من ليلة الثلاثاء سابع ذي القعدة (912هـ) إلى أول محرم من سنة(913 هـ)، أي حوالي (54) يوما، و ما يأتي بعد أول محرم غير مسجل زمنيا، فالأحداث المتعلقة بسعيد الجهيني قدمها السارد كتعليقات على أحداث سجلت زمنيا (الفوانيس، حادثة برهان الدين بن سيد الناس المحتكر للفول(...، و يتم التعرف من خلال هذه التعليقات على مواقف الشخصيات و بالأخص موقف سعيد الجهيني من هذه الأحداث .

الوحدة السابعة : الإعدام .

تبتدئ هذه الوحدة بنداء يتم فيه الإخبار عن انكشاف فضيحة علي بن أبي الجود، و يتضمن هذا النداء سابقة داخلية مكررة، تتعلق بالوثيقة التي سيقرؤها الفقهاء في الجوامع، التدرك العامة كيف أمتص الظالم دماء المسلمين[204]، و سنتعرف على مضمون هذه الوثيقة لاحقا .

يلي هذا النداء مضمون الوثيقة التي جاءت فيه كسابقة فيطلعنا السارد على المدة المنقضية على تسليم علي بن أبي الجود، فمنذ عام أمر السلطان بالترسيم عليه، و تسليمه إلى الزيني بركات لعقابه، كما يطلعنا عما كان الظالم يكتنزه من أموال، و اتسعت هذه اللاحقة الداخلية المتممة لتشغل صفحة من السرد .

ثم يخبرنا بأن علي بن أبي الجود سيظهر للعيان سالما معافى، و بأن الثروة الطائلة التي ضبطت عنده ستضم إلى خزانة السلطان، و استغرقت هذه السابقة الداخلية المتممة أربعة أسطر، و ستتحقق لاحقا. و تنتهي هذه الوثيقة بمطالبة كل من يعلم بوجود طاغية يكتنز المال من دم المسلمين التبليغ عنه.[205]

يلي هذه الوثيقة تقرير مقدم بصاصي القاهرة، استحضر فيه السارد حدث اعتقال علي، فوصف المكان الذي اعتقل فيه، و حالته في السجن، كما وصف السجان الذي كان قائما على أمور المحابيس، و ذكر بعد ذلك دخول الزيني على علي، و محاولة استنطاقه لمعرفة المكان الذي خبأ فيه ممتلكاته، ثم سرد وقائع تعذيبه خلال ستة أيام، تستحدث في كل يوم من هذه الأيام طريقة جديدة لتعذيبه[206] ، و هذه

---

[204] الرواية ص 123
[205] الرواية ص 128
[206] الرواية ص 132.ص 133

المفارقة مركبة، إذ تضمنت هذه اللاحقة الداخلية المتممة سابقة داخلية، تتعلق بتأكيد الزيني لعلي بأنه لن يضع درهما واحدا في جيبه، و أنه سيتكفل بزوجته و عياله[207]، و اتسعت هذه المفارقة لتشغل أربع صفحات من السرد .

و يبدي مقدم البصاصين في آخر التقرير - تعجبه من معرفة الزيني لمقدار و مكان الأموال التي اكتنزها علي، رغم عدم إقراره بمكان وجودها، و ينتهي هذا التقرير بوصف حالته بعد التعذيب .[208]

و يليه نداء يعلن عن قرار السلطان إعدام علي، و قد تضمن سابقة داخلية مكررة، تتعلق بالطريقة التي سيعاقب بها علي: "سيرقص طوال الطريق، كما ترقص النساء، أضربوه.. كلما كف، فمن شاء الفرجة و القصاص من عدو الله، عليه الخروج بعد صلاة العصر[209]، واستغرقت هذه السابقة ثمانية أسطر، و هي تكرر - مسبقا مقطعا سرديا لاحقا، و ستتحقق هذه السابقة بخروج الموكب الذي سار فيه علي و الضربات تتهاطل عليه كلما كف عن الرقص.

و يخبرنا السارد من خلال السابقة الداخلية المتممة- بأن " الموضع الذي سيسقط فيه (علي) سينال بقشيشا من الزيني"[210]، و أثارت هذه الطريقة الغريبة في التعذيب و الموت تعجب السارد يقول: "أغرب طريق إلى الموت رأيته أو سمعت به" [211]. إضافة إلى هذه السابقة، هناك سابقة أخرى داخلية متممة، تتعلق بطلب السلطان ممن يعترض قرار تعيين الزيني واليا للقاهرة إبداء رأيه في جامع الأزهر بعد صلاة الجمعة [212]، و هناك سابقة داخلية متممة ثالثة، نلمس من خلالها عزم السارد على لقاء الزيني، يقول: "سأحرص تماما على لقائه " [213]، ثم تتم العودة إلى الحاضر، فيصف حالة علي و هو يرقص في طرقات المدينة .

تختلف مذكرة الرحالة فياسكونتي جانتي عن السرد السابق لها- في الوحدة نفسها- في كونها مسجلة زمنيا (رجب 914 ه)، بينما جاء ما قبلها خال من أي مؤشر زمني .

وجاءت أحداث هذه الوحدة وفق هذا الترتيب:

1- النداء (ح).
2- مضمون الوثيقة (ل).
3- تقرير مقدم البصاصين (ل).

---

207 الرواية ص 131
208 الرواية ص 134
209 الرواية ص 135
210 الرواية ص 138
211 الرواية الصفحة نفسها
212 الرواية الصفحة نفسها
213 الرواية الصفحة نفسها

4- النداء (ح).
5- الطريقة التي سيعذب بها علي (س).
6- مطالبة العامة بإبداء رأيها في قضية تعيين الزيني واليا للقاهرة (س).
7- عزم السارد على لقاء الزيني (س).
8- رقص علي في الشوارع (ح).

لقد ورد الاعتقال في الوحدات السابقة (من الثانية إلى السادسة) على شكل إشارات زمنية: "منذ عشرين يوما"، "منذ شهر"، "منذ عام"، لكنه تجسد في هذه الوحدة، ودار السرد كله ح ول وقائع تعذيب علي و إعدامه، ومن وحدة الاعتقال إلى وحدة الإعدام تمر سنتان(912 هـ/913هـ) ، ومن هنا يمكن القول بأن هاتين الوحدتين مترابطتان، وهما معا تتضمنان أربع وحدات جاءت - هي الأخرى- مترابطة زمنيا- فيما بينها، وهي وحدة التعيين، الخطبة، الزيني حاكما، زكريا نائبا/ الفوانيس .

الوحدة الثامنة : اللقاء .

تتفق هذه الوحدة مع الوحدات : الخامسة، السادسة والسابعة، في كونها تبتدئ بنداء يؤطره الحاضر، ويتضمن قرار السلطان تسليم الأمير كرتباي إلى الزيني بركات لمعاقبته على ما نهبه من أموال المسلمين.[214]

إن هذه الوحدة طويلة سرديا وزمنيا مقارنة بالوحدات السابقة، فهي تمتاز بكثافة الأحداث التي تمتد زمنيا على مدى ست سنوات، فمنذ رجب (914هـ) لا نجد أي مؤشر زمني يبين تاريخ وقوع أحداث هذه الوحدة، ماعدا ذي القعدة (920هـ) الذي يحيل على المقتطف الثالث من مشاهدات الرحالة البندقي .

لم يخصص السارد لهذه الوحدة- رغم طولها وكثافة الأحداث فيها- مساحة نصية كافية، إذ شغلت السنوات الست حوالي (76) صفحة فقط، وهي مساحة ضئيلة إذ ما قورنت بهذا الزمن (ست سنوات) من جهة، وإذا ما قورنت من جهة أخرى بالمساحة النصية التي شغلتها سنة (912هـ)، التي تضمنت خمس وحدات : الاعتقال، التعيين، الخطبة، الزيني حاكما ، زكريا نائبا/ الفوانيس، والتي تقدر بحوالي (112) صفحة .

يلي النداء السابق سرد لأحداث تتعلق بزكريا بن راضي، و يؤطر الحاضر هذا السرد، ويخبرنا السارد- من خلاله- عن اللقاء الذي يبدو أنه قد تم بين زكريا والزيني، وعن جلوس زكريا إلى وسيلة، وعما دار بينها من حديث، حيث استحضرت وسيلة مدينة حلب ، الطرق المؤدية إليها و عادات الناس

[214] الرواية ص 141

هناك، و استغرقت هذه اللاحقة الخارجية الجزئية سبعة أس طر، وقدم فيها السارد بعض المعلومات المتعلقة ببلدة وسيلة .

ثم يدرج لاحقة خارجية جزئية بعيدة عن زمن الحكي الأول، رجع فيها مائتي عام إلى الوراء، ليسرد ما حدث لابن الكازاروني الذي ابتدع نوعا جديدا من الخمر، يجلب السكر للإنسان بمجرد شمه [215]، واستغرقت هذه اللاحقة سبعة أسطر، وسدت ثغرة زمنية خلفها السرد .

يعود السارد إلى الحاضر ليعلمنا بوصول مبعوث الزيني إلى بيت زكريا، فيبلغه شهاب الحلبي برغبة الزيني في رؤيته، وهنا يتذكر زكريا الأسئلة الغريبة التي كان يطرحها عليه الزيني في لقاءاتهما السابقة [216] ، واستغرقت هذه اللاحقة الداخلية المتممة سبعة أسطر، ثم يتصور ما سيبديه من أفعال لحظة وصوله إلى بيت الزيني، و"عند الاقتراب من بينه لن يظهر دهشته، سيتحدث إليه بهدوء. لا شيء يمثل مفاجأة بالنسبة لزكريا، بل سيوحي إليه أنه خمن نية الزيني في استدعائه [217] ، وجاءت هذه السابقة الداخلية المتممة لتسد مسبقا ثغرة لاحقة .

و يتبين زكريا لحظة وصوله إلى غرفة الجلوس الموجودة ببيته أن المرسول هو الزيني بعينه، وقد جاء - خصيصا- ليسأل عن المكان الذي أخفى فيه على أمواله، فيقر زكريا بجهله مكان وجود الأموال، لكن الزيني ينفي ذلك، ويقول له: "أنت تعرف مكان أمواله يا صاحبي، كما أعرف أنا قبر شعبان."[218]

وانطلاقا من هذا يمكن القول بأن السابقة التي جاءت في الوحدة الرابعة، والمتعلقة بتعيين الزيني لعساسين يرصدون حركات العامة، قد تحققت هنا، إذ تمكن الزيني من معرفة الجريمة التي ارتكبها زكريا، ولهذا شعر زكريا ب القلق، وفرض العزلة على نفسه أياما عديدة، ازدادت معها رغبته في تحقيق ما قرره يوما (الكيد للزيني)[219].

و يخبرنا السارد - بواسطة اللاحقة الداخلية المتممة التي استغرقت صفحتين- عن حالة زكريا أيام العزلة، وعن زيارة الزيني له بعدما أنهى عزلته، وقد سببت له هذه الزيارة ارتياحا كبيرا، خاصة و أن الزيني طلب منه التعاون من أجل إحلال السلام وتشهير سيف العدالة، ولهذا ترك عنده مشروع تطوير البصاصة، و جاء هذا المشروع الذي ضم تصورات الزيني لعالم البصاصة- على شكل سابقة داخلية متممة، سدت مسبقا ثغرة زمنية لاحقة، واستغرقت ستة أسطر، ثم أخبر الزيني زكريا بأن الحرب بين دولة ابن عثمان والمماليك في مصر واقعة لا محالة [220]، واستغرقت هذه السابقة الداخلية المتممة أربعة

---

215 الرواية ص 143.ص 144
216 الرواية ص 144
217 الرواية ص 145
218 الرواية ص 145.ص 146
219 الرواية ص 146
220 الرواية الصفحة السابقة

أسطر، وستتحقق في الوحدة التاسعة .

و يستحضر السارد ماضي زكريا حين كان بصاصا صغيرا مبتدئا [221]، واستغرقت هذه اللاحقة الخارجية الجزئية ستة أسطر، تعرفنا من خلالها على بعض جوانب حياة هذه الشخصية .

ثم يعود إلى الحاضر ليبين القرار الذي اتخذه زكريا، والمتمثل في البحث عن الش خص الذي نقل خبر اغتيال شعبان إلى الزيني، فيشك في أهل بيته ومقدم البصاصين ورجال الديوان .[222]

تخللت هذا الحاضر سابقة داخلية متممة، تتعلق بتصور زكريا ألوان العذاب التي سيسلطها على مرتكب هذا الفعل [223]، وستحقق هذه السابقة باغتيال وسيلة .

يلي هذا السرد مضمون الرسالة التي تركها الزيني لزكريا، والتي جاءت على شكل سابقة كما سبق الذكر- وتتضمن لاحقة داخلية متممة وحيدة استغرقت ثلاثة أسطر، تتعلق بقضية الفوانيس وما قيل بشأنها [224]

وذكر السارد- بعد هذا أحداثا تخص عمرو بن العدوى، و يؤطر الحاضر هذا السرد، ويتحقق فيه جزء من السابقة التي جاءت في الوحدة السابعة، والمتعلقة بخوف سعيد من عمرو، إذ يسأل عنه في مقهى حمزة بن العيد الصغير " :ألم ي رأحدكم سعيد الجهيني؟.[225]

استحضر السارد أيام طفولة عمرو التي كان يمسك فيها بجلباب أمه، ويخرج معها إلى الحقول لينتزعا البطاطا، وجاء الإخبار عن هذا الأمر في قالب اللاحقة الخارجية الجزئية، وقد استغرقت خمسة أسطر، و كشفت عن بعض جوانب حياة هذه الشخصية. كما استحضر في ثلاثة أسطر- مجيء عمرو اليومي لمدة ثلاثة أسابيع إلى مقهى حمزة بن العيد الصغير الشرب القرفة بالحليب، وجزع حمزة -مرة - لغيابه عن المقهى.[226]

و يبدأ عمرو في إنجاز المهمة التي كلفه بها مقدم بصاصي القاهرة، إذ يقضي أوقات معينة في المقهى، يترقب فيها مجيء سعيد. و أدرج السارد في هذا الموضع لاحقة داخلية متممة، اتسعت لتشغل ما يقرب ثلاث صفحات، ليطلعنا عن هذه المهمة، والطريقة التي سيتبعها عمرو التحقيقها، ثم استذكر سؤال مقدم البصاصين عن حال أم عمرو، هذا السؤال جعله يتذكر ما قاله له شيخ زاوية العميان بعد رجوعه من البلد-: "لم أعثر لها على أثر، قالوا في البلدة أنها ل م تمت، منذ مدة بدأت تتحدث عن مجيء هاتف في

---

221 الرواية ص 148
222 الرواية ص 148.ص 149
223 الرواية ص 149.ص 150
224 الرواية ص 154
225 الرواية ص 157
226 الرواية ص 158

المنام أنذرها بقلة ما تبقى من عمرها[227]"وتضمنت هذه اللاحقة الداخلية المتممة سابقة داخلية، تتعلق بقرار أم عمرو السفر إلى مصر" :أنا سأسافر إلى مصر لأرى كبدي.[228]

إن تذكر عمرو ما أخبره به شيخ زاوية العميان جعله يتصور حالة أمه وهي تبحث عنه ولقاءه بها، فيتساءل: "هل سيعرفها، ربما غيرتها المسافة، ربما ضعف بصرها، ف لا يمكنها رؤيته"[229]، كما يتساءل عما سيفعله إذ ما أتته وهو يرقب سعيدا: "هل يقوم منتفضا كاشفا نفسه، يعانقها، يدرك سعيد ما يحاك له، يعلم مقدم البصاصين بإفساد ما تم تدبيره[230]، واستغرقت هذه السابقة الداخلية المتممة عشرة أسطر، وتظل هذه التساؤلات مجرد تصورات و أمنيات، إذ تنتهي الرواية دون أن يلتقي عمرو بأمه .

يعود السارد -بعد هذه المفارقات إلى الحاضر، ليخبرنا بمباشرة عمرو لمهمته، إذ يجلس في فجوة في المقهى يرقب وصول سعيد، فيستمع أثناء فترة الانتظار هذه- لما يدور من حديث، لأن البصاص المكين كما أخبره بذلك مقدم البصاصين "عبارة عن أذنين و عينين، يسمع و يرى، و ينقل حتى في ساعات نومه"[231] ، و يلحظ دخول رجل نصراني حدثه عنه حمزة، و أخبره أنه رآه -مرة- يبكي بشدة، فتساءل عمرو عن هموم هذا الرجل، وفي هذه اللحظة بالذات رأى سعيدا جالسا أمام الدكان، و هنا يتحقق جزء من السابقة التي جاءت على لسان مقدم البصاصين، و ينتهي هذا السرد و عمرو يلحظ جلوس سعيد أمام المقهى، لتبدأ مهمة المراقبة .

يلي هذا السرد نداء يؤطره الحاضر، ويتضمن لاحقة داخلية متممة، سدت ثغرة خلفها السرد وراءه، واستغرقت (12) سطرا، يخبرنا السارد -من خلالها- بتسلم الزيني بركات الأمير ماماي الصغير منذ ستة شهور، والحوطة على موجوده، وتسليمه إلى بيت المال، كما يتضمن سابقة داخلية متممة، أستغرقت صفحة من السرد، تعلن قرار الزيني فرض ضريبة على بيوت الخطأ، وسفره إلى دمياط و الدقهلية بعد يومين - لكشف أمورها وإقرار النظام بها، ونيابة عبد العظيم الصيرفي عنه في مهامه خلال فترة غيابه، و تعهده للسلطان باستلام الأمير بكتمر الساقي، واستخراج أموال المسلمين منه[232].

ونجد بعد هذا النداء رسالة كتبها عمرو بن العدوى إلى مقدم البصاصين، تتضمن أخبار سعيد الذي كان برفقة سماح طوال يوم الإثنين في حدائق بولاق، ويقر في الأخير بانفراد سعيد مرتين بها، وجاءت هذه الرسالة على شكل لاحقة داخلية متممة استغرقت ثمانية أسطر، و هي مركبة، إذ تضمنت سابقة داخلية

---

227 الرواية ص 159
228 الرواية الصفحة نفسها
229 الرواية ص 160
230 الرواية الصفحة نفسها
231 الرواية ص 161
232 الرواية ص 164.ص 165

متممة تتعلق بعزم عمرو على إطلاع المقدم بكل ما يستجد من أمور : "سوف أتابع ما يستجد[233] "، و هنا يتحقق جزء آخر من السابقة المتعلقة بالمهمة التي كلف بها عمرو .

تتضمن النداءات الخمس المتتالية والتي يؤطرها الحاضر- أوامر عبد العظيم الصيرفي، الذي ناب عن الزيني، و هنا تتحقق السابقة التي جاءت في النداء السابق المتعلق بتولي عبد العظيم الصيرفي مهام الزيني أثناء غيابه. ونجد في النداء الأخير سابقة داخلية متممة تخص الخطبة التي سيلقيها زكريا في جامع شيخون[234] ، واستغرقت ستة أسطر، وسدت مسبقا- ثغرة لاحقة .

و جاء تقرير زكريا الذي بعث به إلى الزيني بواسطة الحمام الزاجل على شكل لاحقة خارجية جزئية، أفادتنا ببعض المعلومات حول الشيخ ريحان البيروني (والد سماح)، و أضاعت بعض جوانب حياته، و ساهمت في التعريف به ك : دراسته لعلوم المنطق على يد شيخ ضرير، عمله ككاتب صغير بديوان سر قاضي القضاة، تردده على بيت الخطأ، توليه منصب تحرير مكاتبات الأمير سلامش -بطلب من القاضي- عبد البر وزواجه على إثر ذلك، و اتسعت هذه اللاحقة لتشغل سبع صفحات من السرد، و تخللتها بعض السوابق الخارجية المتعلقة بتصورات الشيخ ريحان كي نتصوره مجالسة الأمراء و الأكابر، و تساؤله عن ردة فعلهم لو علموا بارتياده بيت الخطأ، كما تضمن هذا التقرير لاحقة خارجية كلية ، استغرقت ثلاثة أسطر، تخص الشاب الصعيدي الذي أقام مدة في بيت الشيخ ريحان، و غطت هذه اللاحقة فترة زمنية معينة من ماضي سعيد الذي امتد إلى الحاضر، و الذي تم فيه إثبات وجود علاقة بينه و بين ابنة الشيخ، و يؤكد زكريا في آخر التقرير - جهله ل " التاريخ الذي بدأت محبتها تدب في قلبه .[235]"

يعلن الصيرفي من خلال النداء- أن الزيني سيصل يوم الثلاثاء، و تضمن هذا النداء قرينة: "بعد غد" [236] التي تدل على اليوم الذي تم فيه الإعلان عنه، وهو يوم الأحد، وجاء الإخبار عن هذا الأمر على شكل سابقة داخلية سدت مسبقا- ثغرة زمنية لاحقة ، و يؤطر الحاضر هذا النداء، كما يؤطر السرد الذي يليه و المتعلق بالأحداث التي جرت في كوم الجارح حيث جسد السارد معاناة الشيخ أبي السعود و عذاباته، و اختصر حياته في بضعة أسطر، فذكر حفره لسرداب يودع فيه جسده كلما حارت الروح، زواجه في خوارزم، وطوافه ببلدان عديدة[237] ، وهذه اللاحقة الخارجية الجزئية تخللها الحاضر، واستغرقت حوالي تسعة أسطر، ثم ذكر خطبة زكريا أمام الملا في جامع شيخون، وبهذا تحققت السابقة

---

233 الرواية ص 166
234 الرواية ص 167.ص 168
235 الرواية ص 176
236 الرواية ص 178
237 الرواية ص 179.ص 180

المذكورة آنفا .

ينتهي هذا السرد بلاحقتين داخليتين سدتا ثغرتين زمنيتين تم القفز عليهما سابقا- تتعلق الأولى بليلة زواج سماح، وحضور الزيني حفلة العرس، و استغرقت أربعة أسطر، و تتعلق الثانية باليوم الذي بث فيه الشيخ ريحان أشجانه للشيخ الزاهد بهاء الحق علوان الذي فكر كثيرا في اعتزال الكون لكثرة أشجانه - هو أيضا لكنه كان يلوم نفسه على هذا، أن الدنيا فترة يقضيها الإنسان قبل رحيله عنها[238] ، و استغرقت هذه اللاحقة حوالي ثمانية أسطر .

ثم يخبرنا السارد عن تسريح زكريا البريد بالبطائق والرسائل إلى كبار بصاصي العالم قصد الاجتماع وتدارس الأمور والواجبات، هذا الاجتماع سيترك آثاره في كتب التاريخ -كما تصور ذلك زكريا - كما يخبرنا بأن الزيني سيعتمد على طريقة تساعده على معرفة الأساليب التي يتبعها بصاصو العالم في عملهم، وعلى زكريا استكشاف خباياهم بطريقته الخاصة، الأمر الذي سيساعده على مواجهة الصعاب [239]، وجاء الحديث عن هذه القضايا ف ي قالب السابقة الداخلية المتممة التي استغرقت تسعة أسطر .

و يدرج السارد لاحقة داخلية متممة استغرقت صفحتين، يفسر فيها أسباب رحلة الزيني إلى الصعيد، وما أثارته من مخاوف الأمراء من غضب السلطان عليهم، وقد جاء الإخبار عن هذه الرحلة في النداء السابق على شكل سابقة، وهذه اللاحقة مزدوجة تضمنت سابقة داخلية متممة، تتعلق بتساؤل الأمراء عن الطريقة التي سيحصل بها الزيني على المال، ليأتي رده عليهم: "لن أقتل ولن أشنق أي إنسان لأنه تأخر في دفع ما عليه، إنما سأعذر كل مخلوق ناعت به الحال" [240]، وأثارت هذه الطريقة حيرة زكريا، وجعلته يفكر في الإيقاع بين الأمراء والزيني، والكيد له، و رصد حركاته، مثلما رصد حركات كبير البصاصين في بلاد ابن عثمان، و اكتشف وجود علاقة بينه وبين بعض أمراء المماليك، منهم خايربك، و ذكر السارد هذه الحادثة في تسعة أسطر، و جاءت على شكل لاحقة داخلية متممة سدت ثغرة زمنية قفز عليها .

و تساءل زكريا عن الطرق التي يراسل بها خايربك العثمانلية، و تصور ما سيحدث يوم يحصل فيه على أدلة ملموسة تثبت تعاون خايربك مع العثمانيين[241] ، كما تصور الكيفية التي سيعامل بها أحد أمراء أبن عثمان، لو أنه دخل في خدمته "سيرحب به، يجزل له العطاء، لكنه بينه وبين نفسه سيحتقره[242] "، واستغرقت هذه السابقة الداخلية المتممة (12) سطرا.

---

238 الرواية ص 181.ص182
239 الرواية ص 185
240 الرواية 186
241 الرواية ص187
242 الرواية ص 188

كما تساءل عن سبب اجتماع الأمراء الباغضين للزيني، لذلك ترقبهم، وعلم بضيقهم عند استلام الزيني الأمير أزدمر الصغير، و علم- أيضا- بنواياهم واستعدادهم لقتل الزيني، هذا ما جعله يتجه إلى بيته ليحذره، وتصور في طريقه إليه- ردة فعل العامة لو أن الأمراء قتلوه، و استغرقت هذه السابقة الداخلية المتممة سطرين. ثم يستذكر السارد -في حوالي ثمانية أسطر- حادثة الأمير طيبغا في زمن الناصر بن قلاوون، هذا الأمير الذي نادى بالعدل، فتضايق منه الأمراء، و دسوا له السم فمات، و بكته العامة[243] ، و نجد بعد هذه اللاحقة الخارجية الجزئية التي أفادتنا بمعلومة تخدم الفكرة المعروضة لاحقة أخرى داخلية متممة، يخبرنا السارد من خلالها عن تيقن زكريا من وجود اتصال بين زوجته وسيلة و الزيني الذي دسها عليه قبل توليه الحسبة بأسابيع، و هذا ما جعله يتفنن في تعذيبها إلى أن لفظت أنفاسها الأخيرة، و شغلت هذه اللاحقة ما يقرب (13) سطرا، و وردت ضمنها لاحقة خارجية جزئية استغرقت س طرين، تتعلق بتعذيب الكازاروني لأحد أمراء الظاهر بيبرس، و تتحقق السابقة المذكورة آنفا- و الخاصة بتعذيب الشخص الذي نقل خبر اغتيال شعبان إلى الزيني، و ذلك باغتيال وسيلة، و هذا الحدث لم يذكره السارد في أوانه، وقد جاء هنا على شكل لاحقة. و خيانة وسيلة لزكريا جعلته يشك في كل أهل البيت، فيقرر رصد حركات كل واحد منهم[244]. .

و يتم اللقاء -في الحاضر- بين الزيني و زكريا، فيناقشان أمورا تحدث في الأزهر، كأمر المجاورين الذين يجهرون بكلام في حق السلطان، و يتحرشون بسمعة الزيني و زكريا، ل هذا قرر الزيني إرسال بعض أسماء المجاورين المشاغبين إلى زكريا ليتولى أمرهم، كما يناقشان أمر سعيد الجهيني، وحالته بعد زواج سماح، ثم يسأل الزيني زكريا عن أخبار الصلاة، فيخبره بأن يده أصبحت قبلة الشفاه[245]، كما يخبره في الأخير بما جاء من أجله يقول: " أنت يا زيني ستقتل .[246]"

يستدعي زكريا بعد هذا اللقاء- أبا الخير المرافع من أجل الكيد للزيني، وقد وردت ضمن هذا الحاضر، لاحقة داخلية متممة شغلت ستة أسطر، كشفت عن حياة هذه الشخصية فهو بصاص قديم عمل زمنا في أقصى الصعيد، منذ أيام وصل القاهرة، يقول متباهيا، في حياتي خربت عشرات البيوت، هدمت عائلات ما ظن أحد قط أنها ستهدم .."[247] ، وينتهي هذا السرد بالحاضر، حيث يتأمل زكريا وجه أبي الخير المرافع .

و يلي هذا السرد نداء جاء على شكل سابقة داخلية متممة، مضمونها الخطبة التي سيلقيها الزيني يوم

---

243 الرواية ص 189
244 الرواية ص 189.ص190
245 الرواية ص 190.ص 191
246 الرواية ص 191
247 الرواية ص 192

الجمعة بعد الصلاة في جامع الأزهر [248] .

يتضمن المقتطف الثالث من مشاهدات الرحالة فياسكونتي جانتي مؤشرا زمنيا يتمثل ف ي ذي القعدة (920هـ)، و يبدأ بالحاضر، و فيه ينزل السارد إلى المدينة، و يلاحظ اكتظاظها بالناس بسبب الزيني الذي سيخطب العامة في الغد، و قد تخللت هذا الحاضر لاحقة داخلية متممة شغلت (11) سطرا، و ملأت ثغرة زمنية تم القفز عليها سابقا، و تخص الرجل القصير القامة الذي اشتهر بصنع حلوى البسبوسة .[249]

و يعود السارد إلى الحاضر، ليواصل وصفه للمدينة التي تعالت فيها التصفيقات ، الأصوات المرددة لاسم الزيني بركات، فيسمع بعض الأراء و التعليقات حول هذه الشخصية، وهنا يتذكر في حوالي ستة أسطر- ما سمعه من رجل عجوز أخبر الحضور في دكان عطور قديم في الحمزاوي بأن ظهور ابن موسى علامة من علامات خراب الدنيا، و أنه يعرف عنه ما تقشعر له الأبدان[250]، ثم ينتقل إلى الحاضر ليخبرنا عن سماعه مناد يعلن عن الخطبة التي سيلقيها الزيني في الغد[251].و جاء هذا النداء على شكل سابقة داخلية ستتحقق لاحقا .

تحققت في هذه الوحدة السابقة التي وردت في الوحدة السادسة، و المتعلقة بقرار السلطان عدم خروج المماليك ملثمين بعد الغروب [252]، لكن الإخبار عن هذا الأمر جاء في قالب اللاحقة الداخلية المتممة، إذ أن السارد لم يعاصر هذه الفترة -على حد قوله- إنما أخبره خادمه بالحدث، وقد استغرقت هذه اللاحقة نصف صفحة، و تضمنت سابقة داخلية متممة تخص ما ذكره الزيني للسلطان من أن الخطر محدق بالبلاد، و أنه يجب اتخاذ إجراء عاجل لإنقاذ الموقف، لأن" الدنيا ستخرب إذ استمر الحال على ما هو عليه من خطف نساء و ذبح أبرياء .[253]"

كما تحققت السابقة الخاصة بخطبة الزيني، إذ خطب العامة في الأزهر، و انتقل السارد إلى المسجد الحضور الخطبة، وتصور أثناء استماعه لها- ما سيفعله لو أمسك به، سيطلب العون من الزيني الذي سيفهمه لا محالة، و يؤكد في الأخير- عزمه على لقائه بأية وسيلة، فهو لم يره إلا في تلك المرة التي تم فيها إعدام على بن أبي الجود[254] .

تحدث الزيني في خطبته عن وظيفة الحسبة، و تذكر يوم توليه هذا المنصب، و أسباب رحلاته الدائمة، و رغبته في إقامة العدل، كما تذكر اليوم الذي طلع فيه أبو الخير المرافع إلى السلطان، و تعهد

---

248 الرواية ص 193
249 الرواية ص 196
250 الرواية ص 197
251 الرواية الصفحة نفسها
252 الرواية الصفحة نفسها
253 الرواية الصفحة نفسها
254 الرواية ص198

أمامه باستخراج ستين ألف دينار من الزيني، لكن السلطان أمر بحبس أبي الخير بسبب تيقنه من أن الزيني لا يأكل من الحرام، و تتضمن هذه اللاحقة الداخلية المتممة لاحقة داخلية متممة أخرى، تخص ذهاب الزيني إلى الأمير ماماي الطبردار، و طلبه منه قرضا يقدر بخمسة دنانير، و هذا ما أثار تعجب السلطان، و بذلك تأكد من صدق الزيني، خاصة و أنه أدخل إلى خزانته آلاف الدنانير، و لم يأخذ منها دينارا واحدا، و استغرقت هاتان اللاحقتان ما يقارب الصفحتين، و ملاتا معا ثغرتين زمنتين خلفهما السرد وراءه، ثم يستحضر السارد - في خمسة أسطر تلك المئذنة التي عهد الجلوس قربها إلى أن يجيء الليل[255] .

و تتم العودة إلى الحاضر، فيواصل السارد وصفه لأجواء الجامع، و ردود أفعال الناس من خطبة الزيني، و يخبرنا عن إنصافه مظلوما أمام العامة، و وعده إياه برد حقه: "بعد الصلاة تعال عندي، أخبرني عن المكان الذي مشيت فيه، و سأحضر أمامك رجالي كلهم المتواجدين فيه، ولا بد من رد حقك إليك [256] "، و بهذا تتحقق السابقة التي جاءت ف ي الوحدة الرابعة، و المتعلقة بقرار الزيني معاقبة كل من ارتكب ظلما.

و يواصل السارد في سرد قضية أبي الخير المرافع الذي سيتولى زكريا عقابه ، وتم الإخبار عن هذا الأمر بواسطة لاحقة داخلية متممة و توافق العامة الزيني وزكريا على أفعالهم له و تجمع على وجوب الوقوف ضد أعدائهما (أبو الخير المرافع). و ينتهي مضمون الخطبة بإقرار السارد بإعجابه بالزيني، و عزمه على اللقاء به -ثانية- قبل سفره[257].

يلي هذا المقتطف نداء ان يؤطرهما الحاضر، يتضمن أولهما سابقتين داخليتين متممتين ، تتعلق الأولى بقرار شنق أبي الخير المرافع، و إبقاء جثته ثلاثة أيام للاعتبار، و تتعلق الثانية بقرار تسليط العذاب على كل من خالف قرار عدم السهر بعد العشاء، كما تضمن لاحقة داخلية متممة تخص الحرب التي جرت بين الفرسان المصريين ورجال أبن عثمان[258]، ولم يتم الإخبار عن هذه الحرب في أوانها، إنما جاء هنا في قالب اللاحقة، و قد سدت الثغرة الزمنية التي خلفها السرد، و يعلن النداء الثاني قرار السلطان تعيين الزيني ناظرا للذودخاناه، و نائبا للدوادار الكبير الأمير طومانباي، وتخللته سابقة داخلية متممة، تم- بواسطتها- مطالبة العامة الإبلاغ عن أعداء الدين الذين يتحرشون بسمعة السلطان أو أحد الأكابر، ومكافأة المبلغ عن الأمر، ومعاقبة الساكت العالم به[259].

يؤطر الحاضر السرد الذي جاء بعد النداعين، وتضمن بعض المفارقات الزمنية، ومنها :

---

255 الرواية ص198إلى ص 200
256 الرواية ص 201
257 الرواية ص 202
258 الرواية ص 203.ص204
259 الرواية ص205

السابقة الداخلية المتممة التي تصور سعيد من خلالها- مجيء الأيام السعيدة التي سيسود فيها الأمن، ويتخلص الخلق من عبث المماليك، ومن اقتفاء البصاصين لأثرهم، ويتساءل سعيد وصديقه منصور :متى ستأتي هذه الأيام؟ وهل ستأتي فعلا؟، ثم يتصور نفسه مع حبيبته سماح[260].

كرر السارد هذه السابقة عدة مرات في مواضيع مختلفة، و هي عبارة عن أحلام تمنى سعيد لو أنها تتحقق في الواقع، لكنها تبقى مجرد أمنيات، و تنتهي الرواية دون أن تتحقق .

و يذكر السارد ليلة زواج سماح، ليخبرنا بفرحة الشيخ بزوج ابنته الذي يجري في عروقه دم الأمراء، و استغرقت هذه اللاحقة الداخلية المكررة ستة أسطر، و يبين بعد ذلك خسوف سعيد من بصاصي زكريا الذين يقتفون أثره، و أخذه الحذر منهم، و يستذكر - في أربعة أسطر -ما سمعه سعيد في جامع الأزهر من اتصال خايربك بالسلطان العثماني، و مراسلته له (و هذا الجزء من اللاحقة الداخلية مكرر)، و من سب الأمير طشتمر جهرا.[261]

ثم يعلن بواسطة السابقة الداخلية المتممة -عن نية الزيني في إلقاء خطبة على الناس، و تتحقق هذه السابقة و تصبح حاضرا، إذ تتم هذه الخطبة، و يطلع الزيني فوق المنبر ليخطب العامة، و يستحضر سعيد في هذه اللحظة خروجه مع سماح لشم النسيم، و معاناته بسبب زواجها[262] ، و هذه اللاحقة الداخلية مكررة، جاءت للتذكير، و استغرقت أربعة أسطر .

و يتساءل سعيد هل سعي الزيني في زواج سماح، و ما السبب الذي دفعه لحضور العرس، كما يتساءل عن المرأة التي كانت تظهر فجأة و تشتم الزيني، و جاء الإخبار عن هذه الأمور على شكل سوابق داخلية متممة، استغرقت أربعة أسطر، ثم يستذكر تلك المرأة التي كانت تصيح في وجه الزيني، و التي رآها منذ سنوات في أول موكب ظهر فيه الزيني، و شغلت هذه اللاحقة الداخلية المتممة سطرين، و جاءت لتسد ثغرة خلفها السارد. و ينتهي هذا السرد الحاضر، و فيه يسمع صوت في الجامع يتهم الزيني بالكذب، و يردد " :أنت تكذب، أنت تكذب .[263]"

يؤطر الحاضر السرد الذي تضمن رغبة مقدم بصاصي القاهرة في التعرف على س عيد الجهيني، وقد تخللته سابقة داخلية متممة، تتعلق بتصور المقدم تعرفه على ملامح سعيد رغم أنه لم يعرفه يوما- و على ما يختلج في نفسيته .[264]

و تنتهي هذه الوحدة باعتقال سعيد الجهيني، و هنا تتحقق السوابق المكررة التي وردت في الوحدات

---

260 الرواية من ص207 إلى 210
261 الرواية ص210.ص211
262 الرواية ص211.ص212
263 الرواية ص 212.ص 213
264 الرواية ص 214

السابقة، و تتحقق كل التصورات التي كان يخمنها حول اعتقاله ، و هذا الموقف جعل السارد يستذكر رجم الحسين بن منصور الحلاج و تعذيبه في بغداد [265] .و استغرقت هذه اللاحقة الخارجية الجزئية حوالي عشرة أسطر، و أفادت السرد بمعلومة ضرورية تخدمه.

أخذت أحداث هذه الوحدة الترتيب التالي:

1- النداء (ح).
2- لقاء زكريا بالزيني (ح).
3- تذكر وسيلة بلدتها (ل).
4- حادثة الكازاروني (ل).
5- وصول مبعوث الزيني إلى بيت زكريا (ح).
6- تذكر أسئلة الزيني (ل).
7- تصور زكريا ما سيبديه من أفعال حين وصوله إلى بيت الزيني (س).
8- لقاء زكريا بالزيني (ح).
9- حالة زكريا أيام عزلته (ل).
10- مشروع تطوير البصاصة (س).
11- الحرب التي ستقع بين ابن عثمان والمماليك (س).
12- ماضي زكريا (ل).
13- بحث زكريا عمن نقل خبر اغتيال شعبان إلى الزيني(ح).
14- تصور زكريا الطريقة التي سيعذب بها الشخص الذي نقل الخبر (س).
15- سؤال عمرو عن مكان تواجد سعيد (ح).
16- ماضي عمرو (ل).
17- مجيء عمرو اليومي إلى المقهى (ل).
18- رصد عمرو لحركات سعيد (ح).
19- المهمة التي كلف بها عمرو (ل).

---

[265] الرواية ص215

20- قرار أم عمرو السفر إلى مصر (س).

21- مباشرة عمرو لمهمته (ح).

22- تساؤل عمرو عن هموم الرجل النصراني (س).

23- النداء (ح).

24- رسالة مقدم البصاصين (ل).

25- النداءات الخمس (ح).

26- تقرير زكريا (ل).

27- النداء (ح).

28- معاناة الشيخ أبي السعود (ح).

29- ماضي الشيخ أبي السعود (ل).

30- خطبة زكريا (ح).

31- -ليلة زواج سماح (ل).

32- بث الشيخ ريحان أشجانه للشيخ بهاء الحق علوان (ل).

33- تسريح زكريا البريد بالبطائق (ح).

34- تصور زكريا أثر اجتماع كبار البصاصين (س).

35- أسباب رحلة الزيني إلى الصعيد (ل).

36- تساؤل الأمراء عن طريقة حصول الزيني على الأموال (س).

37- رغبة زكريا في الإيقاع بين الزيني و الأمراء (ح).

38- علاقة كبير بصاصي دولة ابن عثمان بخايربك (ل).

39- تصورات زكريا و تساؤلاته عن الطريقة التي يراسل بها خايربك العثمانيين (س).

40- حادثة الأمير طبيغا (ل).

41- تأكد زكريا من وجود علاقة بين وسيلة والزيني (ل).

42- تعذيب الكازاروني أحد أمراء الظاهر بيبرس (ل).

43- اللقاء بين الزيني و زكريا (ح).

44- استدعاء زكريا أبا الخير المرافع (ح).

45- -ماضي أبي الخير المرافع (ل).

46- تأمل زكريا وجه أبي الخير المرافع (ح).

47- النداء (س).

48- نزول السارد إلى المدينة (ح).

49- الرجل الذي اشتهر بصنع البسبوسة (ل).

50- وصف السارد للمدينة (ح).

51- ما قيل عن الزيني (ل).

52- الإعلان عن خطبة الزيني (ح).

53- طلب الزيني من السلطان اتخاذ إجراء لإنقاذ البلاد من الخطر (س).

54- انتقال السارد لحضور الخطبة (ح

55- -تصور السارد إلقاء القبض عليه (س).

56- أعمال الزيني، و شكوى أبي الخير أمره إلى السلطان

57- طلب الزيني خمسة دنانير من الأمير ماماي الطبردار (ل).

58- جلوس السارد تحت المئذنة (ل).

59- وصف السارد لأجواء الجامع (ح).

60- عقاب زكريا لأبي الخير المرافع (ل).

61- النداءات (ح).

62- تصور سعيد مجيء الأيام السعيدة (س).

63- ليلة زواج سماح (ل).

64- علاقة خايربك بالسلطان العثماني (ل).

65- الخطبة التي سيلقيها الزيني (س

66- خطبة الزيني (ح).

67- خروج سعيد برفقة سماح (ل).

68- تساؤلات سعيد عن سبب حضور الزيني عرس سماح، و عن المرأة البدينة (س).

69- ما قالته المرأة البدينة في أول موكب للزيني (ل).

70- اتهام الزيني بالكذب (ح).

71- رغبة مقدم البصاصين في التعرف على سعيد (ح).

72- تصور المقدم تعرفه على سعيد (س).

73- اعتقال سعيد (ح).

الوحدة التاسعة : الحرب والهزيمة .

لقد ورد في الوحدة السابقة مؤشر زمني يتمثل في (920هـ)، و ورد في هذه الوحدة مؤشر أخر يتمثل في (922هـ)، و بهذا نلتمس وجود فاصل زمني بينهما يقدر بسنة، و جاءت سنة (922هـ) في الوحدة الأولى كإعلان- كما سبق الذكر و أخذت موقعها الطبيعي في هذه الوحدة .

تبتدئ هذه الوحدة بمقتطف رابع من مذكرات الرحالة البندقي فياسكونتي جانتي الذي زار القاهرة للمرة الثالثة، و أبرز السارد فيه واقع القاهرة المضطرب، وبين حسرته لوصوله بعد خروج موكب السلطان إلى الشام لمحاربة ابن عثمان، لكن صاحبه محمد أحمد بن اياس كان حاضرا، و دون كل ما رآه، وهذا ما سمح له بالتعرف على ما جرى في ذلك اليوم. و يؤطر الحاضر هذا المقتطف، وتخللته بعض المفارقات، منها : اللاحقة الداخلية المتممة التي استغرقت حوالي صفحة، وصف- من خلالها -ابن اياس موكب السلطان يوم خروجه[266]. و سدت هذه اللاحقة ثغرة زمنية خلفها السارد، إذ لم يتعرض لوصف هذا الموكب يوم خروجه، إنما ذكره بعد وقوعه، فجاء على شكل لاحقة .

يلي هذا المقتطف رسالة أعدت بمناسبة اجتماع كبار البصاصين في أنحاء الأرض م ن أجل دراسة الأحوال، وتبادل المعرفة في أساليب البصاصة، و هي مؤرخة في جمادى الأولى من عام (922هـ)، و يؤطر الحاضر هذه الرسالة، و تبدأ بآيات قرآنية، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وحديث آخر لعمرو بن العاص (ض) [267]، وأهم ما جاء فيها :

---

[266] الرواية ص 217 .ص 218

[267] الرواية ص 223

1- هدف الاجتماع المتمثل في استحداث طرق جديدة، وسبل غير معروفة عند البصاصين للكشف عن الحقيقة، وهنا يتصور زكريا الأثر الذي سيتركه هذا الاجتماع في الأجيال اللاحقة[268]، وجاء تصوره- هذا- على شكل سابقة داخلية متممة .

2- مهمة البصاص المتمثلة في إقامة العدل لإرضاء الله ثم السلطان، ثم أركان الدولة وهنا نجد لاحقة خارجية جزئية أفادت السرد بمعلومات ضرورية، واستغرقت حوالي سنة أسطر، يخبرنا زكريا من خلالها عن قصص الأنبياء، ثم يعود مائتا عام إلى الوراء ليعلمنا بتعضب كبير بصاصي دولة المغرب للحاكم الموجود آنذاك والذي بالغ في معاملته، و هذا ما أثار الأمراء ضده، فأزاحه أحدهم من منصبه وتولاه هو، أما كبير البصاصين فلم يأخذ جانب الحياد، إنما جهر بالعداء للأمراء، حتى بعد تيقنه من مقتل الحاكم، واعتبر زكريا هذا التصرف غباء[269] ، واستغرقت هذه اللاحقة الخارجية الجزئية ستة أسطر .

3- الشروط الذي ينبغي أن تتوفر في البصاص لكي يكون محبوبا من الناس، وتتمثل فيما يلي:

- القدرة على اكتساب قدرات الخلق.
- اتساع علومه ومعارفه على الأشخاص.
- التفكير في ضم الأطفال إلى عالم البصاصة[270] .

و يطلعنا زكريا في هذا الموضع على رغبته في رفع مستوى البصاصة قبل رحيله عن الدنيا، كما يطلعنا على نجاح كبير بصاصي بلاد الصين في ضم أكابر العلماء و الأعيان و الكهنة إلى صفه، و استغرقت هذه اللاحقة الخارجية الجزئية سطرين، و أفادت السرد بمعلومة ضرورية تخدمه. و يؤكد زكريا بأنه سيكتب رسالة مفصلة عن إنسان يعد له من سنوات من أجل ضمه إلى عالم البصاصة، كما يؤكد أنه سيشاركه في كتابة جزء من هذه الرسالة، و جاءت هذه التصورات على شكل سابقة داخلية متممة شغلت أربعة أسطر. ثم يستحضر ما قام به كبير بصاصي مملكة الفرنج الغربية من ضم أطفال المملكة إلى صفوفه، وزرع روح البص في عقولهم منذ تعلمهم نطق الكلمات، واستغرقت هذه اللاحقة الخارجية الجزئية ثلاثة أسطر، و تضمنت سابقة خارجية تخص تصور زكريا نجاحه في ضم الأطفال إلى عالم البصاصة و تحول البشر إلى بصاصين بعد سنين[271] .

4- بيان السبل التي يجب اعتمادها لمعرفة الحقيقة، و هنا يتساءل زكريا عن الأساليب التي يمكنه استخدامها لمعرفة الحقيقة لو أنه تسلم شخصا متهما بتهييج العامة ، وجاء هذا التصور في قالب السابقة

---

268 الرواية .الصفحة نفسها
269 الرواية ص224.إلى 226
270 الرواية ص 226 إلى 228
271 الرواية ص 228.ص 229

الداخلية المتممة، ثم يتذكر "رسالة كبير بصاصي مملكة البرتغال الإفرنجية المتضمنة لوسائل جديدة لإنطاق الإنسان بالحقيقة"[272]، و استغرقت هذه اللاحقة الداخلية المتممة سطرين من السرد.

5- بيان الطرق المستحدثة في تعذيب السجناء، وهنا يستحضر زكريا الطريقة التي عذبها أحد سجنائه الذي لم يرغب في الإفصاح عن مكان أمواله، فجعله يتوهم أن رقبته تنزف دما غزيرا، و بهذا اعترف لهم بالحقيقة قبل أن يموت، كما يستحضر - في حوالي ثلاثة أسطر -ما فعله به قبل مماته إذ أدخل عليه أحد رجاله، و أمره بالالتصاق به أثناء نومه، فقام السجين مفزوعا ظانا أن الرجل يضمر له نية خبيثة [273]، و هاتان اللاحقتان الداخليتان متممتـان سنتا ثغرتين خلفهما السرد وراءه .

6- رجاء : يتضمن تصورات زكريا للبصاصة مستقبلا، كمجيء أيام تصل فيها إلى أرقى المستويات، فيعلم البصاص كل صغيرة و كبيرة عن شخص معين منذ ولادته إلى مماته، و تطلق على الناس أرقام معينة، فيحمل كل شخص رقما مختلفا عن الآخر، ثم يتصور ما سيقوله بصاصو الأزمنة المقبلة عن هذه الأساليب[274] ، و شغلت هذه التصورات التي جاءت على شكل سوابق داخلية متممة- حوالي صفحة من السرد .

ذيلت هذه الرسالة بأربعة ذيول مؤرخة كلها في (922هـ)، أولها عبارة عن مطلب ف ي كيفية إعداد طعام المساجين و طرق نومهم، و أفضل اللحظات اللازمة لإقلاق راحتهم [275]، و ثانيها مطلب في الوسائل المقترحة لترقيم الناس بدلا من الأسماء، و نص فتاوي شرعية تبيع هذا في سائر الأديان [276]، و ثالثها مطلب في كيفية رصد بصاص لبصاص آخر[277]، ورابعها مطلب في كيفية إقناع الناس بوجود ما هو غير موجود.[278]

يلي هذه الذيول سرد الأحداث تتعلق بالاجتماع الذي تم بين الشيخ أبي السعود و طلابه في كوم الجارح، و رغبة الشيخ في لقاء النبي الياس، وهنا يستذكر السارد ما حكاه الشيخ الكرماني لأبي السعود من أنه التقى بالنبي الخضر - عليه السلام و اتسعت هذه اللاحقة الخارجية الجزئية لتستغرق (11) سطرا، و أفادت السرد بمعلومة تخدمه، و يطلعنا بعد هذا على ما رآه الشيخ أبو السعود في حياته (منظر الموتى في غزوة بربرية و المدن التي خيم عليها الوباء[279]" و كشفت هذه اللاحقة الخارجية الجزئية عن بعض

---

272 الرواية ص 229
273 الرواية ص 232 .ص 233
274 الرواية ص 233.ص 234
275 الرواية ص 235
276 الرواية ص 236
277 الرواية ص 237
278 الرواية ص 238
279 الرواية ص 240

جوانب حياة هذه الشخصية .

و تتم العودة إلى الحاضر، و فيه يخبر الطلاب أبا السعود بما أتاه الزيني من شنيع الأفعال رفع الأسعار، القبض على أشخاص والارتقاء في المناصب)، وكان يتحدث عن ثقة مولاه به التي لولاها لما قبل منصب الحسبة[280]، ثم يخبره درويش من دراويشه بمجيء الدمراوي ، الذي يعلمه بما قام به الزيني في منفلوط من ترهيب و قمع للحصول على الأموال، وهو يتحدث باسم الشيخ، وبهذا تتم معرفة الطريقة التي استخرج بها الزيني الأموال التي وعد بها السلطان، واتسعت هذه اللاحقة الداخلية المتممة لتشغل صفحة من السرد، و أجابت عن السؤال الذي طرح بشأن الكيفية التي يتحصل بها الزيني على الأموال. و ينتهي هذا السرد بالحاضر، و فيه يأمر الشيخ أبو السعود بإحضار الزيني إليه .

يتضمن التقرير المرفوع إلى زكريا و المؤرخ(في 15 شعبان 922هـ) حدث انتقال الزيني إلى كوم الجارح في الليلة التي استدعاه فيها الشيخ، الذي وبخه على نهبه لأموال المسلمين الفقراء، و أمر مريديه بضربه، " فضربت رأس الزيني بالنعال حتى كاد يهلك، ثم أمر بشك الزيني في الحديد[281]" ، و أرسل - بعد هذا - إلى الأمير طومانباي يخبره بالأمر، فرد عليه بقوله: ليفعل الشيخ أبو السعود ما يبدو له[282]"، و سدت هذه اللاحقة الداخلية المتممة ثغرة خلفها السرد وراءه، ذكرها السارد بعد وقوعها بزمن، و لم يخبرنا بها في أوانها، وهي مفارقة مركبة تضمنت سابقة داخلية متممة، ستتحقق لاحقا، وتتعلق ببقاء الزيني محتجزا عند الشيخ الذي يؤكد على ضرورة إبقاء الأمر سرا يوما أو يومين حتى يتم استرجاع ما نهبه من أموال، و إشهاره بعد ذلك على حمار، و تتحقق هذه السابقة في الحاضر، فيخبرنا السارد عن بقاء هذا الأمر سرا .

يؤطر الحاضر التقرير الموجه إلى زكريا من نائبه المختص بأحوال ابن عثمان و أموره، و المؤرخ في اليوم الذي أخ فيه التقرير السابق(15 شعبان 922هـ)، و وردت ضمنه لاحقة داخلية متممة، اتسعت لتشغل صفحة و نصف، تتعلق بالحرب التي جرت يوم الأحد (25) رجب بين عسكر السلطان الغوري وعسكر سليم العثماني، و التي أنتهت بهزيمة العسكر المصري، و موت السلطان، وخيانة الأمير خايربك. و يعد النائب زكريا في أخر التقرير بأنه سيرسل إليه تفاصيل ما سيرد إليه من أخبار .

يبتدئ السرد المتعلق بأحداث تخص عمرو بن العدوى بالحاضر، و فيه يمضي عمرو إلى مقدم بصاصي القاهرة الذي استدعاه بعد انكشاف أمره، وفي طريقه إليه يتساءل عما سيقوله له المقدم، و يستذكر شتم بعض المجاورين له بالأزهر: قال الشيخ حمزة ...امض عنا يا شيخ عمرو لا ترنا وجهك"

---

280 الرواية الصفحة نفسها
281 الرواية ص 243
282 الرواية ص 244

[283]، و هنا تتحقق السابقة التي وردت في الوحدة الثالثة، و يتم طرده من جامع الأزهر، ثم يتصور نفسه جالسا أمام مقدم البصاصين، وهنا يستذكر في حوالي سطرين جلوسه إليه من قبل، و افتخاره بذلك أمام التجار و المجاورين، و فرحته عند سماعه بإرسال شخص إلى المقشرة، و تلعب هذه اللاحقة الداخلية المتممة دورا هاما، إذ تساعد على القيام بمقارنة بين وضعية عمرو قبل انكشاف أمره، ووضعيته بعد ذلك، و هي مفارقة مزدوجة ، إذ تضمنت هذه اللاحقة سابقة داخلية متممة تتمثل في تصوراته المختلفة، ويستحضر-ثانية- الشتم الذي تعرض له، و طرد المجاورين له من الأزهر: "صاح الشيخ صلاح الصعيدي امش يخرب بيتك كما خربت بيوت الناس[284] "، و يواصل في تساؤلاته حول مصيره، فيتذكر الأيام التي خلت، و التي كان يطوف فيها بالبيوت، و يستجدي الدراهم بتلاوة القرآن، كما يتذكر أمه التي لم يعد يعرف السبيل إليها، و استغرقت هذه اللاحقة الداخلية المتممة أربعة أسطر، وتضمنت سابقة داخلية متممة استغرقت ثلاثة أسطر، جسدت تصوراته المتعلقة بأمه: "ربما تصل إلى الرواق لا تلقاه الآن، تسعى حول المسجد كسبحة عمياء كسيرة الفؤاد[285] "، و يستحضر عند وصوله إلى المقر الكلام الذي أعده - عندما جاءه الرسول في الفسطاط - ليقوله لمقدم البصاصين، و شغلت هذه اللاحقة الداخلية المتممة - التي ملأت الثغرة التي تركها السارد -ثلاثة أسطر. لكن عمرو لم يجد كلمة واحدة يتفوه بها أمام نائب المقدم الذي قرر إيقاءه معهم مدة معينة: "ستبقى عندنا وقت حتى يبت في أمرك" [286]، و استغرقت هذه السابقة الداخلية المتممة سطرا واحدا .

يبدأ سرد الأحداث المتعلقة بسعيد الجهيني بالحاضر، و فيه يبدي حمزة بن العيد الصغير تعجبه من غياب سعيد عن المقهى" :لك وحشة يا شيخ سعيد .. سنتان و أكثر .. هانت عليك العشرة [287]، و يتساهل سعيد إن كان حمزة صادقا فيما قاله أم أنه يتظاهر بعدم معرفته لما جري، فيروح بذاكرته إلى تلك الفترة التي قضاها في المعتقل -سنتان أو أكثر-، و سدت هذه اللاحقة الداخلية المتممة الثغرة التي خلفها السرد، إذ أن المسرود له لا يدرك المدة التي بقي فيها سعيد معتقلا إلا في هذا الموضع، و استغرقت نصف صفحة، كما يتذكر حبيبته سماح، و جاءت هذه اللاحقة الداخلية المكررة لغرض التذكير، ثم يتساءل عن مكان وجودها، فهو " لا يدري أين هي؟ أين تسكن ؟ في القاهرة أم رحلت إلى الريف مع الراحلين في الأيام الأخيرة، لا بد أنها أنجبت طفلا [288]. ووردت هذه التساؤلات على شكل سابقة داخلية متممة استغرقت ستة أسطر و سدت مسبقا- ثغرة زمنية لاحقة .

---

283 الرواية ص 248
284 الرواية الصفحة نفسها
285 الرواية الصفحة نفسها
286 الرواية ص 250
287 الرواية الصفحة نفسها
288 الرواية ص 252

و يذكرنا السارد -بعد هذا -بحادثة العطار [289] في حوالي أربعة أسطر، وقد وردت في الوحدة الأولى كلاحقة داخلية متممة، و تكررت في هذه الوحدة كلاحقة داخلية أيضا .

ثم يخبرنا عن خوف سعيد ممن حوله، و عن تجنبه الاقتراب من حلقات المناقشة -في المسجد- و يتساءل لو أن هذا الاضطراب الذي عم القاهرة الأن حدث قبل عامين، فهل يتجنب مثل هذه المناقشات ؟، و يتصور لو أن جيوش ابن عثمان اجتاحت القرية التي لجأت إليها سماح و زوجها، فكيف سيكون مصيرها حينئذ ؟[290]، و جاءت هذه التصورات و التساؤلات على شكل سوابق داخلية متممة لا تتحقق في الرواية .

و يعود السارد إلى الحاضر، فيخبرنا بأن الناس قد أكثروا من الدعاء لطومانباي، في حين بقي سعيد ساكنا خوفا من أن يفهم حماسه خطأ[291]، ثم يدرج لاحقتين داخليتين متممتين ملأتا الفراغ الذي تركه سابقا، استغرقت الأولى سطرين، و تخص علم سعيد بعد استقصائه أحوال مولاه - بعرض الأمراء السلطنة على طومانباي، و رفضه لها، و لهذا قصدوا الشيخ من أجل مطالبته باقناع طومانباي بقبول هذا المنصب [292]، و استغرقت الثانية خمسة أسطر،

و تتعلق بالمهمة التي كلف بها سعيد، و المتمثلة في الإجابة عمن سيسأله في دكان حمزة عن مكان الزيني بقوله: "أن الزيني في مكان قريب، يعد العدة، و يجمع المال و السلاح" [293]، و جاء هذا الطلب على شكل سابقة داخلية متممة، تحققت في الوحدة الأولى التي جاءت كإعلان- إذ نفذ سعيد أوامر المقدم، و أجاب عن تساؤلات الحضور في المقهى عن مكان الزيني بقوله أنه "يرسل الأتباع إلى بلاد مصر يستنفر مشايخ العربان لإرسال رجالهم إلى القاهرة ...[294] ، لكن العامة أدركت بعد أيام أن أتزيني كان محتجزا عند الشيخ أبي السعود، و هذا م ا جعل سعيدا يخجل من نفسه، لكنه مع ذلك كان متيقنا من أن الشيخ سيسامحه على ما فعل، لأن ذلك لم يكن مقصودا .[295]

ينتهي هذا السرد بمغادرة سعيد المقهى رفقة شخص لم يعرفه من قبل باتجاه مقر مقدم البصاصين الذي طلب حضوره [296]، و يليه نداء الجهاد " :يا أهالي مصر، يا ساكني القاهرة، الجهاد، الجهاد، الجهاد، و ما النصر إلا من عند الله[297]" .

---

289 الرواية ص 252.ص 253
290 الرواية ص253.ص254
291 الرواية ص 255
292 الرواية ص256
293 الرواية ص 257
294 الرواية ص 13
295 الرواية ص 257
296 الرواية ص 257 .ص258
297 الرواية ص 259

و ينتقل السارد إلى ذكر أحداث تخص زكريا الذي أتجه برفقة مبروك إلى بيت الزيني للقائه للمرة الثانية، من أجل أن يناقش معه أمورا تخص البلاد، وأحوالها التي اضطربت بسبب الحرب، وتخللت هذا الحاضر لاحقة داخلية متممة استغرقت ثلاثة أسطر، وتتعلق بالإشاعة التي انتشرت في المدينة منذ الصباح الباكر، بشأن مفاجأة جيوش أبن عثمان طومانباي من الخلف، وأحس زكريا بالخطر المحدق بالبلاد بسبب هذه الأحداث، لأنه العالم الوحيد بما ستجيء به الأيام، و هذا هو الأمر الذي سيناقشه مع الزيني [298]، واستغرقت هذه السابقة الداخلية المتممة خمسة أسطر .

اختصر السارد أحداثا كثيرة .وردت في الوحدات السابقة مثل: القبض على الزيني، كيد زكريا له لسنوات طويلة، واقعة الفوانيس، قصة زكريا مع زوجته وسيلة ومقتلها، إدراكه عدم إنشاء الزيني نظاما للبصاصة خاصا به، ومحاولته إيجاد بصاصا يتبع الزيني، إعجابه بالزيني رغم خداعه له، القبض على علي بن أبي الجود، مقتل الغلام شعبان، إرسال الشيخ أبي السعود لإحضار الزيني و عقابه له، و سماع زكريا بالأمر[299]. و وردت هذه الأحداث كلها على شكل لواحق داخلية مكررة، استغرقت صفحتين من السرد، والغاية منها التذكير بما سبق سرده .

واستذكر أحداثا لم يرد ذكرها في الوحدات السابقة مثل: محاولة زكريا إنقاذ الزيني من الشنق بعد إشهاره على حمار، وذلك بتكليف ابن السكر والليمون و ابن كيفه بالحديث عن عدل الزيني، إرساله مكتوبا عاجلا إلى طومانباي يخبره فيه عن المال الجسيم الذي يكتنزه الزيني ، و ضياع هذا المال في حالة شنقه، و إرساله إليه مكتوبا آخر يطلب فيه الإقلال من عدد مرات ظهوره بين الناس حتى لا تضيع هيبته، و نجاح زكريا في إنقاذ الزيني، إذ يتم الرجوع في قرار شنقه، و يعاد إلى بيت الشيخ أبي السعود، و هذا ما جعل زكريا يرتاح، و جاءت هذه الأحداث على شكل لواحق داخلية متممة، لم يخبرنا السارد بها في أوانها، إنما أدرجها في هذا الموضع لسد الثغرة التي خلفها في سرده. و تضمنت هذه اللواحق سابقة داخلية متممة، تتعلق بتصور زكريا نفسه في موقف مشابه لموقف الزيني، و في هذه الحال لن ينقذه إلا الزينسي نفسه، و ينتهي هذا السرد باقتراب زكريا من بيت الزيني، و هو يتساءل عما إذا كان قد فكر فعلا في الخلاص منه ذات يوم[300].

يبرز هذا الموقف بوضوح - شخصية زكريا المتقلبة و المتناقضة ، إذ كانت علاقته بالزيني في بداية الأمر- علاقة صراع، ويتجلى ذلك في محاولته الكيد له بالاستعانة بابن السكر والليمون وابن كيفه، لكن هذه العلاقة لم تدم على حالها، إذ أخذت في هذه الوحدة منحنى جديدا، فسعى زكريا إلى إنقاذ الزيني، و استعان من أجل ذلك بالشخصيتين المذكورتين سابقا، لكنه كلفهما في هذه المرة- بالحديث إلى العامة عن

---

[298] الرواية ص 261
[299] الرواية ص 261 إلى 263
[300] الرواية ص263.ص264

عدل الزيني و صلاحه وتقواه .

يؤطر الحاضر النداءات الخمس المتتالية التي أعلنها منادو العثمانيين، يتعلق أولها بقرار شنق أي مخلوق خبأ عنده مملوكا أو أمواله، و يخص الثاني مكافأة من يدل على مكان طومانباي أو من يحضره حيا أو ميتا [301]، و يتم الإخبار في الثالث عن مكافأة من يحضر الشيخ أبا السعود أو درويشا من دراويشه، تضمن النداء الرابع قرارا يقضي يشنق كل من أخفى عنده جواري ونساء المماليك[302] ، بينما ينص النداء الأخير على شنق كل من يخرج بعدها المغيب، و كل من يرتدي لثاما[303] ، و جاءت هذه القرارات على شكل سوابق داخلية متممة لأنها تعلن عما سيحدث لاحقا .

ثم يعود السارد إلى سرد أحداث تتعلق بسعيد الجهيني الذي أراد مقدم البصاصين أن يضمه إليهم، فأمره بالتوجه إلى كوم الجارح ليكسب ثقة أبي السعود، و أخبره أن الشيخ سيسأله عن سبب غيبته عنه، و عليه أن يجيبه بأنهم منعوه، و لكنه الآن ضرب بمنعهم -هذا -عرض الحائط و أتاه [304]، و جاء هذا الطلب على شكل سابقة داخلية متممة، يتحقق جزء منها بانتقال سعيد إلى كوم الجارح، بينما لا يتحقق الجزء الآخر، لأن سعيدا سيجد بيت مولاه مهدما، فلن يتمكن من رؤيته و الحديث إليه، و أخبره المقدم -كذلك- بعزم الزيني على لم جماعة من الشباب تعمل في السر .من أجل إقلاق راحة الخنكار، و طلب منه أن يقدم له أسماء الشباب القادر على ذلك، و سيهتم هو ومن معه بإقناعهم في قبول الطلب [305] .

تنتهي هذه الوحدة بالحاضر، حيث ينتقل سعيد إلى كوم الجارح لمقابلة مولاه، لكنه يجد كوم الجارح خرابا" لا حس في البيت، السرداب مهدوم [306]، فيتساءل أين مضى مولاه؟ و ماذا يقي بعد هذا ؟، و يتمنى لو يره فيبوح له بكل شيء، لكن هذا حلم بعيد المنال، و يؤثر فيه هذا الواقع أيما تأثير فيصيح : "آه،أعطبوني، و هدموا حصوني..."[307]

و بهذا تتحقق السابقة التي وردت في الوحدة الأولى في المقتطف الأول من مشاهدات الرحالة البندقي، إذ أصبحت القاهرة فعلا- "رجلا معصوب العينين، مطروحا فوق ظهره، ينتظر قدرا خفيا، و لم يعد يسمع ديكا واحدا يصيح [308] " .

و جاءت أحداث هذه الوحدة وفق الترتيب التالي:

1- واقع القاهرة المضطرب (ح).

---

301 الرواية ص 265
302 الرواية ص 266
303 الرواية ص 267
304 الرواية ص 272
305 الرواية ص 274
306 الرواية ص 275
307 الرواية ص 277
308 الرواية ص 14.ص 15

2- وصف موكب السلطان (ل).
3- الرسالة التي أعدت بمناسبة اجتماع كبار البصاصين (ح).
4- اجتماع الشيخ بطلابه (ح).
5- التقاء الشيخ الكرماني بالنبي الخضر (ل).
6- ما رأه الشيخ أبو السعود في حياته (ل).
7- إخبار الطلاب شيخهم بأفعال الزيني (ح).
8- طريقة استخراج الزيني للأموال (ل).
9- أسر الشيخ أبي السعود إحضار الزيني (ح).
10- عقاب الشيخ أبي السعود للزيني (ل).
11- -بقاء أمر الزيني سرا (ح).
12- تسلم زكريا تقريرا من نائبه المختص بأحوال ابن عثمان (ح).
13- أحداث الحرب (ل).
14- توجه عمرو إلى مقدم البصاصين (ح).
15- تساؤل عمرو عما سيقوله له المقدم (س).
16- شتم المجاورين لعمرو (ل).
17- تصور عمرو نفسه مع المقدم (س).
18- جلوس عمرو إلى المقدم (ل).
19- الشتم الذي تعرض له عمرو (ل)
20- -تساؤلات عمرو حول مصيره (س).
21- ماضي عمرو (ل).
22- تصورات عمرو الخاصة بأمه (س).
23- الكلام الذي أعده عمرو ليقوله للمقدم (ل).
24- بقاء عمرو عند المقدم (س).
25- تعجب حمزة من غياب سعيد (ح).
26- تساؤل سعيد إن كان حمزة صادقا (س).
27- الفترة التي قضاها سعيد في المعتقل (ل).
28- -تذكر سعيد سماح (ل).
29- تساؤلات سعيد الخاصة بسماح (س) .

30- حادثة العطار (ل).

31- -خوف سعيد ممن حوله (ح).

32- تصور سعيد مصير سماح لو اجتاحت جيوش ابن عثمان قريتها (س).

33- الأحداث التي وقعت في المسجد (ح).

34- عرض الأمراء السلطنة على طومانباي (ل).

35- تكليف سعيد بالإجابة عن السائلين عن مكان وجود الزيني (ل).

36- توجه سعيد إلى بيت المقدم (ح).

37- توجه زكريا و مبروك إلى بيت الزيني (ح).

38- -مفاجأة جيوش ابن عثمان طومانباي (ل).

39- -الأمور التي سيناقشها زكريا مع الزيني (س).

40- تكرار أحداث وقعت في الوحدات السابقة (ل).

41- -قرار إشهار الزيني و الرجوع فيه بسبب شفاعة زكريا له (ل).

42- تصور زكريا نفسه في موقف مشابه لموقف الزيني (س).

43- اقتراب زكريا من بيت الزيني (ح).

44- تساؤل زكريا إن كان قد فكر في قتل الزيني (س).

45- النداءات الخمس (ح).

46- تكليف المقدم سعيد بالتوجه إلى بيت أبي السعود (ح).

47- انتقال سعيد إلى كوم الجارح (ح).

48- تساؤل سعيد عن مولاه (س).

49- صيحة سعيد (ح).

نلاحظ ارتباط هذه الوحدة بالوحدة الأولى (بداية الهزيمة) التي جاءت كسابقة، إذ وقعت الحرب و انهزم الجيش المصري، و تمت الإجابة فيها عن السؤال الذي طرح في الوحدة الأولى و الخاص باختفاء الزيني: "هل رأى أحدكم الزيني بركات بن موسى منذ أول أمس [309]، فأخبرنا السارد بأن الزيني كان محتجزا عند الشيخ أبي السعود الذي أشهره على حمار بالمقلوب عقابا له على ما فعل .

تكشف هذه الوحدة- إذن- بوضوح عما لم يكن واضحا في الوحدات السابقة، فقد انكشف أمر الزيني، و أمر عمرو بن العدوى. كما اتضح الموقع الذي يحتله الشيخ أبو السعود، وسعيد الجهيني في معارضة كل ما هو قائم .

---

[309] الرواية ص 09

وما يمكن ملاحظته -كذلك- هو هيمنة التكرار على السرد المتعلق بأحداث تخص سعيد، وهيمنة المفارقات الزمنية على السرد المتعلق بأحداث تخص زكريا، و التي كشفت عن البعد الدلالي للأحداث، خاصة السوابق المتصلة بالبصاصة : " ما نراه مستحيلا اليوم .يدخل ب اب الممكن غدا. وغدا بالنسبة لنا دون حد"[310]، و من هنا يبدو الزمن عند زكريا قضية وجودية أو فكرية يعيها ويؤمن بها، كما يأخذ الزمن دلالته عند سعيد الجهيني، إذ يأخذ عنده منظورا خاصا دالا على التكرار [311] ، و يتجلى ذلك في هذه العبارة المكررة مرتين :ما الذي بقي ليحرص عليه، زمن إمامة الزيني، و شيخه زكريا، ما الذي بقي ليحرص عليه، زمن إمامه الزيني وشيخه زكريا " .[312]

إن السابقة التي وردت في الوحدة الأولى (922 هـ) كإعلان هي التي تؤطر الترتيب التتابعي لأحداث الراوية، و بتحققها في هذه الوحدة، و تحقق السوابق التي جاءت في الوحدة الثامنة تكتمل الدائرة التي انفتحت في البداية، لكنها لا تتعلق، و يتضح هذا أكثر في الوحدة الأخيرة .

الوحدة العاشرة : الزيني محتسبا جديدا .

تتمثل هذه الوحدة في مقتطف أخير من مذكرات الرحالة البندقي فياسكونتي جانتي، وما تجدر الإشارة إليه هو أن الرواية بدأت بمذكرة و انتهت بمذكرة، و من خلالها تتغلق الدائرة، لكن هذا الانغلاق يأخذ منحى جديدا، حيث يزور الرحالة القاهرة من جديد، و قد أصبحت غير التي عهدها يقول : " في ترحالي الطويل لم أر مدينة مكسورة كما أرى الآن" .[313]

و تضمنت هذه الوحدة مؤشرا زمنيا يتمثل في (923هـ)، أي بعد مرور سنة على دخول العثمانيين إلى مصر، و انهزامها، و تبتدئ بالحاضر، و فيه يصف السارد المدينة، و يخبرنا عن النداءات المتتالية التي تعلن قرار البحث عن السلطان طومانباي[314] .

كما تضمنت لاحقة داخلية متممة استغرقت أكثر من صفحة، سدت الثغرة التي خلفها السارد سابقا، و تتعلق بظهور السلطان طومانباي في جامع شيخون، وهجومه على أبن عثمان في بولاق، و انضمام جماعات كبيرة من الدراويش إليه و إغارتهم على جنود العثمانلية، و ظهوره في الصعيد. و استذكر السارد آخر مرة رأى فيها صديقه ابن اياس الذي تنبأ بالهزيمة، و ظهور ولي من أولياء الله في الريف، و استنفاره للخلق، كما استذكر انتقاله إلى بيت الشيخ ريحان الذي وجده مهدما محروقا، و سماعه بالعلاقة التي تجمع الزيني بخايربك، و هذه العلاقة تنفض الغبار عما كان مشكوكا فيه سابقا، و يتضح هذا أكثر من

---

310 الرواية ص 233
311 ينظر .سعيد يقطين ص 134
312 الرواية ص 212
313 الرواية ص279
314 الرواية الصفحة السابقة

خلال النداءات التي تمثل الحاضر، و التي يعلن فيها المنادون تعيين الزيني بركات محتسبا جديدا للقاهرة، و إلغاء العملة المملوكية القديمة و استبدالها بالعملة العثمانية الجديدة[315] .

و تنتهي هذه الوحدة باختفاء الموكب العثماني عن الأنظار، و ابتعاد "النداء الخافت في هواء شاحب" .[316]

وردت أحداث هذه الوحدة وفق الترتيب التالي :

1- وصف السارد للمدينة (ح).
2- هجوم طومانباي على ابن عثمان (ل).
3- رؤية السارد لابن اياس (ل).
4- انتقال السارد إلى بيت الشيخ ريحان، وسماعه بالعلاقة التي تجمع خايربك بالزينى (ل).
5- الإعلان عن تعيين الزيني محتسبا جديدا، و استبدال العملة المصرية بالعملة العثمانية (ح).

لا تختلف هذه الوحدة عن الوحدات السابقة، إلا من حيث ترتيب أحداثها و تسلسلها إلى النهاية التي تجسد الواقع المهزوم الذي تعيشه القاهرة بعد دخول العثمانيين، و هنا تنفتح الدائرة إذ تدخل مصر عهدا جديدا .

نستنتج مما سبق:

1- عدد مقاطع اللواحق أكبر من عدد مقاطع السوابق، و ربما دل ذلك على أهمية الماضي بالنسبة للسارد، لأنه المنطلق الذي اعتمده ليوضح الحال الراهنة في القاهرة، و ليبين أن القمع قائم في كل الأزمة، و لا تهيمن اللواحق عددا فقط بل مساحة أيضا .

2- هيمنة اللواحق الداخلية على اللواحق الخارجية، و هيمنة السوابق الداخلية على السوابق الخارجية، و هذا طبيعي لأن ما يهم السارد هو الأحداث التي تشكل روايته، أي كل ما له علاقة بالحدث الذي يعالجه، و يأتي بأحداث أخرى مماثلة لهذا الحدث (خارج زمن القصة) على سبيل التوضيح .

3- السوابق الخارجية التي تضمنتها الرواية جاءت ضمن اللواحق الداخلية و الخارجية، ما عدا السابقة الخارجية الوحيدة و المتعلقة بالبصاصة .

---

315 الرواية من ص 279 إلى 281
316 الرواية ص 281

الخاتمة :

عالجت هذه الدراسة البنية الزمنية في رواية "الزيني بركات" وفقا للمحددات التي وضعها منظروا الرواية الجدد، و من بينهم "جيرار جنيت"، ليبينوا العلاقات الكائنة بين زمن القصة وزمن الخطاب، فتناولت المحاور التالية :

1 - النظام الزمني : لا يسير سيرا منتظما (ماض، حاضر، مستقبل)، إنما يتأرجح بين هذه الأزمنة الثلاثة، كما لو أن السارد بصدد اللعب مع الزمن كما يقول جنيت- و ذلك بالاعتماد على المفارقات الزمنية (السوابق و اللواحق) التي شكلت جزء كبيرا من بنية الرواية.

فالسوابق الزمنية هي عملية سرد أحداث لم تقع بعد، استبقها السارد في الزمن الحاضر السرد (نقطة الصفر)، بمعنى أنها تتعلق بالمستقبل، و غالبا ما يستخدم فيها صيغا دالة عليه، و وردت هذه السوابق في معظم الأحيان على شكل تنبؤات أو أحلام، تطمح بعض شخصيات الرواية من خلالها إلى تحقيق أهداف معينة.

أما اللواحق فهي عملية سرد الأحداث الماضية التي سبق حدوثها لحظة السرد نقطة الصفر)، و استحضرها السارد في الحاضر لغرض التذكير وهي تتعلق بماضي الشخصيات القريب أو البعيد، و غالبا ما يستخدم فيها صيغة تدل على الماضي.

و تنوعت السوابق و اللواحق بين الداخلية و الخارجية، و المتممة و المكررة، كما تنوع مداها و اتساعها، إذ تفاوتت في الرواية بين طول و قصر الفترة الزمنية التي يعود فيها السارد إلى الماضي، أو يستشرف للمستقبل، و الحيز المكاني الذي تستغرقه، فقد تستغرق جملة أو فقرة أو صفحة أو عدة صفحات من السرد، و قد يشير إلى الفترة الزمنية التي استغرقتها و قد لا يشير إليها، فيجعلها مطلقة غير محددة.

و من هنا، فإن السارد لم يخضع أحداث روايته للتسلسل الذي عرفته على مستوى القصة، و ذلك نظرا لتعدد أحداث الرواية، و كثرة الشخصيات العاملة بها، فهو يتابع كل شخصية ويسرد ما تقوم به، و يبين أثر ذلك على الشخصيات الأخرى، كما يبين موقفها من أفعالها، لكنه لا يسرد هذه الأحداث دفعة واحدة، إنما حدا تلو الآخر، إضافة إلى تعدد الحقول الزمنية فيها، إذ تنوعت بين الزمن الماضي القريب و البعيد) و الحاضر والمستقبل، فتداخلت هذه الأزمنة فيها و تعددت وظائفها.

2 - وتيرة الأحداث : تكون سريعة في حالة اعتماد السارد على تقنيتي الخلاصة والحذف، إذ يتم تلخيص أحداث امتدت على طول فترات زمنية طويلة، أو القفز عليها، و تكون إما محددة أو غير محددة، فيفهم -حينئذ- مقدار المدة الملخصة أو المحذوفة من السياق، وتكون هذه الوتيرة بطيئة في حالة اعتماد السارد على تقنيتي التوقف و المشهد اللتان تسهمان في تعطيل مجرى الأحداث، فيقتصر التوقف على التأمل في إطار مكاني معين أو وصف شخصية معينة، أما المشهد فيسمح للشخصيات بالبوح بأفكارها و ارائها، و ينقل حركاتها و أفعالها.

و ترتبط حركية السرد في سرعته بمراحل الرواية، إذ يغلب عليها في البداية العرض المفصل (المشهد) لحالات الشخصيات، مع الخلاصة من حين لأخر، و ذلك عندما يتعلق الأمر بتوضيح حادثة ما، أو إضاءة بعض جوانب حياة شخصية ما، بينما عرفت الرواية في وحداتها الأخيرة نوعا من التسريع، إذ غلبت عليها الخلاصة، و تسلسلت أحداثها نحو النهاية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم.
- الغيطاني جمال، الزيني بركات، ط. 3، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1985.

المراجع بالعربية

1- إبراهيم عبد الله، الغانمي سعيد، عواد علي، معرفة الأخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة (البنيوية، السيميائية، التفكيك)، ط.1، المركز الثقافي العربي، بيروت، حزيران 1990.

2- بحراوي حسن، بنية الشكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990.

3- تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973.

4- تزفيطان تودوروف، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت، رجاء سلامة، ط1، دار توبقال،1978.

5- تزفيطان تودوروف، رولان بارت، أمبرتو إيكو، مارك أنجينو، في أصول الخطاب النقدي، ترجمة و تقديم أحمد المديني، ط. 2، عيون المقالات، المغرب، 1989.

6- رسائل إخوان الصفاء و خلان الوفاء، إعداد و تحقيق عارف تامر، ط.1، منشورات عويدات، بيروت، 1995م/1415ه.

7- رزق خليل، تحولات الحبكة، مقدمة لدراسة الرواية العربية، ط1، مؤسسة الأشرف، يبروت، لبنان، يناير 1998.

8- الرقيق عبد الوهاب، في السرد، دراسات تطبيقية، ط1، دار محمد علي الحامي، تونس، 1998.

9- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، ج. 1، ط.3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م/1408ه.

10- صحراوي إبراهيم، تحليل الخطاب الروائى، دراسة تطبيقية (رواية جهاد المحبين الجرجي زيدان نموذجا)، ط.1، دار الآفاق، الجزائر، 1999.

11- العيد يمنى، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط. 2، دار الفارابي،بيروت، لبنان، 1999.

12- قسوم عبد الرزاق، مفهوم الزمان في فلسفة أبي الوليد بن رشد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (د. ت).

13- قسومة الصادق، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب، تونس، 2000.

14- لحمداني حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط. 3، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع، المغرب، 2000.

15- المقداد قاسم، هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي، جلجامش، ط. 1، دار السؤال للطباعة و النشر، دمشق، 1984.

16- مرتاض عبد الجليل، البنية الزمنية في القص الروائي، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة وهران، 1993.

17- مبروك مراد عبد الرحمن، بناء الزمن في الرواية العربية المعاصرة، رواية تيار الوعي نموذجا (1967-1994)، الهيئة المصرية للكتاب، 1998.

18- المرزوقي سمير، شاكر جميل، مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، (د.ت).

19- ناثان سكوت، صمويل بيكيت، ترجمة مجاهد عبد المنعم، سلسلة أعلام الفكر العالمي المجموعة الأدبية)، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1974.

20- يقطين سعيد، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، ط.3، المغرب، 1997.

الأطروحات

1- بوطاجين السعيد، غدا يوم جديد، لعبد الحميد بن هدوقة، دراسة بنيوية"، رسالة ماجستير، تيزي وزو، 1997/1996

2- غماري نصيرة،" تحليل بنيوي سيميائي لقصة الشفاعة العظمى"، رسالة ماجستير، الجزائر، و 2000/1999.

3- لخلف نوال، "تقنيات السرد الروائي عند حنا مينا"، رسالة ماجستير، الجزائر، 1998/1997.

4- هيام إسماعيل، "البنية السردية في رواية أبي جهل الدهاس، لعمر بن سالم ماجستير، الجزائر، 1998/ 1999 .

المراجع الأجنبية :

1. Dominique Maingueneau, L'analyse du discours, Introduction au lecture de l'archive, Hachette université, Paris, 1991.

2. Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, Essai, Ouvrage présenté

par Dalila Morsly, ENAG/Edition.

3. Gérard Genette, Figure 111, Edition du Seuil, Paris, 1972

4. Oswald Ducrot/ Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Edition du Seuil, 1972.

5. Paul Riccur, Temps et récit, L'intrigue et le récit historique, Edition du Seuil, 1985.

فهرس المحتويات

الإهداء	01
المقدمة	03
تمهيد	05
الفصل الأول (النظام الزمني)	18
1- بين زمن القصة و زمن الخطاب	19
2- مفهوم المفارقات السردية	23
3- أنواع المفارقات السردية	23
3 -1 - اللواحق	23
3 -2 – السوابق	24
الفصل الثاني (المسار الزمني في رواية "الزيني بركات")	26
1- مدي و اتساع المفارقة السردية	27
2- المسار الزمني في رواية "الزيني بركات"	27
الخاتمة	78
المصادر و المراجع	80
الفهرس	82